تهنئة
من مجلّة المشرق
للحضرة السلطانية

لا يسفر صباح العيد السعيد الموافق ليوم الغد غرَّة ايلول حتى يُقبل العالم العثماني متسابقًا الى مواطئ أقدام صاحب العزّ والجلال الملك الاعظم ضابط زمام البرّين وخاقان البحرين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني فيتنافس رعاياهُ كلهم في تقدمة مراسيم التهانئ وفرائض التبريك بعيد جلوسهِ المأنوس على اريكة آل عثمان الاماجد منذ خمسة وعشرين عامًا

هذا ولا يليق بنا نحن الكاثوليك بمناسبة هذا العيد المجيد ان نتأخر في تأدية واجبات العبودية والاخلاص للمتبوع الاعظم السلطان الافخم عملًا بأمر الاناء المختار بولس رسول الامم (رومة ١٣ : ١) حيث قال: « لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فانَّهُ لا سلطان الَّا من الله »

فلسان المشرق الذي نال في ايَّام جلالة السلطان الرخصة بخدمة الدين والوطن ممَّا نبلّغ حضرتهُ العليَّة تهانئنا الحميمة رافعين الى الرب المتعال اكفَّ الضراعة والابتهال بحفظ شوكتهِ قرينةً بالعزّ والاقبال لسعادة البلاد ورفاه العباد ويعيد على عظمتهِ وعلى رعاياهُ الامناء هذا العيد اعوامًا عديدة بالصفاء والهناء

بيروت في ٣١ آب سنة ١٩٠٠

اصلاح اللغة

بقلم الكاتب الاديب بيث المقري

قد مُنيَت اللغة العربية في هذا العصر بداءين عُضالين وهما: « الفساد والنقص » على حدّ ما صرَّح بهِ احد مراسلي المشرق الزاهر (٣: ٥٨٥). فالفساد لانتشار اللغة العامّية واستفحال امرها واستشراء شرّها. والنقص لِما ثار بوجه اللغة من المستحدثات العصريَّة ممّا لم يكن للعرب بهِ عهد ولا عنَّ لهم بهِ فكر. وهذان الداءان بمنزلة عاملين دائبين في تشويه محاسن اللغة العربية الفصيحة. ومن ثمَّ في استدارجها الى الرطانة والطمطانيَّة ان لم نقُل الى إماتتها. وانت عليم وخبير بان كل سببٍ متاف ان لم يُتدارَك باستئصال شأفتهِ منذ ابتدائهِ بالفتك فلا ينجع فيهِ بعد ذلك دواء ولا حيلة. ولقد رأينا والحمد لله من كتَّاب العربيَّة المعاصرين نفرًا (لا اكثر) جرَّدوا لقطع دابر هذه الملّة أقلامًا تكاد تكون سهامًا صوَّبوها الى مقرّ هذا الداء فاصابت جهةً منهُ وأطارت « شيئًا » من جراثيمهِ الى حيث ألقت رحلها امُّ قشعم. وقلنا: « شيئًا » لان ما مُحق من تلك الجراثيم ليس الَّا القليل. وقد بقي الكثير منها على حالهِ وغرّهِ

ولعلك تسألني: ولِمَ لم تكن الرَّمية مُصمية؟ قلنا: الاسباب كثيرة. منها: ١ً ان تلك الرمية لم تُصب الّا بعض الداء. كما ألمعنا اليهِ فنعلتْ على ما اصابت. اي: ان اولئك الادباء فوَّقوا سهام أقلامهم الى وضع بعض الفاظ عربية لبعض محدثات عصريَّة فقامت مقامها وسدَّت مسدَّها ولم يبقَ للدخيل الى مرجعهِ سبيل. امَّا القواعد الاصلية لوضع الفاظ جديدة فلم يتعرَّضوا لها. ولهذا لم يكن فعلهم عظيم النتيجة. ٢ً ان الكتبة المحدثين من العرب ليسوا يدًا واحدة على استئصال شأفة هذا الداء. فانك تراهم منقسمين الى ثلاثة أحزاب: حزبان كبيران وحزب صغير. فالحزبان الكبيران هما: حزب العربية الصميمة. وهم الذين يريدون وضع الفاظ عربية فصيحة من نفس اللغة « لجميع الألفاظ الاعجميَّة والعاميَّة ». بحيث انهم لا يُحبون ان يروا في لغتهم كلمة دخيلة او كلمة عامّية. واغلب هذا الحزب هم من الذين يجهلون لغةً من اللغات الاعجميَّة وبالاخص الافرنجيَّة منها. ولهذا لا يمكنهم ان يقفوا على ما هنالك من الالفاظ الجديدة المباني الدقيقة المعاني التي من دون تعريبها خرط القتاد

ثمَّ ان هذه الالفـاظ المستحدثة هي في ازدياد دائم ونموّ فاحش تأتي بهِ كل يوم المستنبطات الجديدة من علمية وصناعيَّة التي هي من نتاج عقل الانسان الذي من شأنهِ الامتداد والاتساع والاكتشاف والاختراع الى ما لا موقف يقف عندهُ لروحانية جوهرهِ الى ان تقوم الساعة. وعليهِ فوضع الفاظ عربية لجميع هذه المخترعات والمبتدعات لهو من رابع المستحيلات. ولا جرم ان هـذا الكلام لا يروق أصحاب هذا الحزب. لكن الحقّ هو الحقّ لا تنالهُ يد المحق وإن خُيّل الى البعض الخلاف. وانّنا لمتأكدون ان اصحاب هذا المذهب يقلّون على تراخي الزمان لانهم لو علموا ان العربيَّة كثيرة الالفاظ الاعجميَّة حتى في زمن الجاهليّـة لنكصوا على أعقابهم مُحوقلين. ولتأكّدوا انهم يتأثرون امرًا هو من عالم الخيال اكثر من ان يكون من عالم الوجود

امَّا الحزب الثاني فهو حزب العربية المستعجمة وهم الذين يريدون ان يُدخلوا في اللغة العربية كل ما يرونهُ من الالفاظ الاعجميَّة ممَّا يُخرجها عن وضعها الاصلي ومزيَّتها الحسنى. وأصحاب هذا الرأي هم المتفرنجون والعارفون باللغات الاجنبيَّة معرفـةً تفوق معرفتهم لاصول العربية وقواعدها واحكامها وسُنن وشروط إدخال المعرَّبات فيها. لان من هذه المستحدثات ما هو حديث الوضع لا حديث الوجود. وعليهِ فلا يعسر وجود ما يقابلها بالعربية. وقد جمعنا من ذلك شيئًا كثيرًا ممَّا هو مدوَّن في الكتب العربيَّـة من لغويَّة وعلمية ومجهول من كتبة هذا اليوم. من نحو اسماء نباتات وحيوانات ومعـادن وألعاب وبعض أمور طبيعيَّة

ومن هذه المستحدثات ما هو تحسين الامور الفِطريَّة التي وُجدت عنـد الأعراب في بداوتهم وعند العرب حين تبسُّطهم في الحضارة والعمران ممَّا سلكوا في وضعهِ مسالك الاعراب والعرب الاقدمـين. ومن ذلك ما يتعلّق بالسكن والاكل والشرب والفرش والركب الخ. ومثل هذا الوضع لا يغيّر اللفظ الاصلي بل يفيدنا معنًى مُحسَّنًا او مصلحًا لا معنًى جديدًا

ومن هذه المستحدثات ما هو ناتج عن نقل اعمال الانسان الى أعمـال تتمها الالآت. وهذا ممَّا يمكن وضع الفـاظ جديدة لهُ من نفس اللغة العربية جريًا على سُنن منها بيّنة في كتب اللغة العربية مما قد اوضحهُ الاصوليون على اختلاف طبقاتهم ومنها خفية في سرّ تنزُّع الألفاظ واشتقاقها ووضعها ونموّها مع الزمان مما يمكن ان يتوفّق

الى كشفهِ اصحاب النظر الدقيق في هذا الباب. وعليهِ فاتباع فريق المستعجبين ممن يريدون ادخال لغة الاجانب في لغة تختلف عنها من جميع الوجوه هو من قبيل الضرب في حديدٍ بارد. لانهم لا يستطيعون ان يجرُّوا وراءهم جميع ابناء العرب بل فقط اولئك الذين هم على شاكلتهم لا غير. ويبقى الفريق الاعظم واقفًا في موقفهِ الاول مستغربًا هذا الانقلاب باقيًا على لغتهِ الاولى بينما يكون اصحاب الرأي المخالف لهم في لغة جديدةٍ وقد جروا إطلاقًا فيها

ومن هذه المستحدثات ما هو حديث من جميع وجوههِ مما لا سبيل الى ايجاد مثلهِ في العربية بدون ان يُمسّ جوهرهُ الاعجميّ في نقلهِ ومتى ما تغيَّر الجوهر (لا العرض) تغيَّرت الذات واذا تغيَّرت الذات فاتت الغاية من تلك الكلمات. ولهـذا فمن الواجب ان تُؤخَذ بصوف رقبتها وتدخل طوعًا او كرهًا في العربية وان عَرَبَد المخالفون

ومن هذه المستحدثات ما ولد ونشأ عند العامَّة من ابناء العرب من الفاظٍ وتراكيب وصيغ وإبدال وقلب وتقديم وتأخير وزيادة وحذف تُظَن كلّها جديدة احدثتها العامة وهي بالحقيقة راجعة الى لغات قديمة معروفة عند العرب مما كان « يجوز عندهم استعمالهُ » لكنهم تركوهُ تمسُّكًا باللغة الفصحى تمسُّكهم بالعروة الوثقى

ومن هذه المستحدثات ما لا ذكر لها في المعاجم اللغويَّة المستعملة بين الناس لكنها موجودة في كتب العرب الذين تقدَّموا ممَّن يؤتمّ بهم. وقد وقع عليهم ادباء هذا القرن وقوعهم على كنزٍ ثمين فاخذوا يستعملونها في كتاباتهم فظنَّ البعض أنَّها من سقط اللغة العامية وأنَّهُ لا يجوز استعمالها. كما توهَّمهُ صاحب الضياء. فردَّ عليهِ الادباء احسن ردّ. مع ان الادباء لم يتعرَّضوا الَّا الى بعض ما جاء بهِ من الاوهام ولعلَّنا نعود الى هذا الموضوع لما يترتب عليـهِ من الفوائد اللغويَّة الجمَّة ولما يُوسع المجال لابناء هذه اللغة الشريفة

امَّا الحزب الصغير فهو الحزب الثالث ممَّن يذهبون الى الجمع بين المقبول من هذين الرأيين. واقفين في وسط هذين الطرفين وهم في اثناء ذلك يدخلون في العربية الضروري من تلك الاعجميات ممَّا يستحيل وجودهُ عنـدهم او ممَّا قد أُدخل مثلهُ في لغتهم على ايدي كبار العلماء او الكتبة المعرِّبين ممَّن تقدَّموا. وهذا الحزب وان كان اصحابهُ يُعدُّون على الاصابع الآن فسوف يكون هو الغالب السائد مع الزمان

وكلٌّ من هـذه الابواب المتفرّعة التي ذكرناها بخصوص أنواع المستحدثات تطلب مقالاتٍ خصوصية ان لم نقُل كتباً قائمة برأسها لتأييد الكل بالبراهـين السديدة. واقامة الدعائم على أُسس وطيدة. ولعلّنا نذكر شيئاً من ذلك ان سنحت لنا الفُرص

اما الان والغاية من هـذه العجالة الاجابة عن اقتراح المراسل فنقول: اما لفظتا «آنسة» لمادموازيل و«عقيلة» لمدام فلا نرى رأيهُ في وجوب نبذهما واتخاذ اللفظتين الافرنجيتين عوضهما. لانهُ: «لا داعي الى ذلك» ولا يوجد «اسباب كافية» لتمنع دخول هاتين اللفظتين في العربية بهذا المعنى. امّا قول المراسل: «وكل خبير يعلم ما بين الاصل وهاتين الكلمتين من الفرق الجسيم فهما لا تؤديان اصلاً معنى مداموازيل ومدام فضلاً عن صعوبة استعمالهما في التخاطب»

قلنا: هذا كلام لا يصحّ تطبيقهُ على هذين الحرفين. وقولهُ: بينهما «فرقٌ جسيم» قولٌ لا نفهم معناهُ. فان اراد بهذا الفرق الجسيم المقابلة بين أحرف الكلمتين الافرنجيّتين وبين احرف الكلمتين العربيتين: فالفرق بينهما جسيم. لكن اذا اردنا ان ننظر هـذا النظر الى الألفاظ فحينئذٍ لا مُوجب لاستعمال الكلم العربية باجمعهـا لان حروفها لا تقابلها الحروف الافرنجية. واذا أراد بهذا الفرق الجسيمْ الفرق بين الاشتقاق فلا جرم ان الفرق جسيم ايضاً لان اشتقاق الكلمة الافرنجية من وادٍ واشتقاق الكلمة العربية من وادٍ. وهو ما يصحّ قولهُ عن جميع الالفاظ في اللغتين. وان كان مرادهُ من هـذا الفرق الجسيم ان مؤدّى معنى «مَدام» مثلاً غير مؤدى معنى عقيلة. قلنا: لا شكَّ في ان هذا الفرق هو جسيم ايضاً. وما هذا ناتجٌ الّا من استعمال اللفظة الافرنجيّة وتصوُّر المدلول عليها اكثر من استعمال اللفظة العربيّة من هذا القبيل. وعليهِ فلو شاع هـذا الاستعمال بالعربية لحضر في الخيال نفس تلك الصورة المتولّدة من اللفظة الافرنجية،

وان اراد بذلك الفرق الجسيم الرِّقة بين اللفظتين فلا بدع في ذلك لانّ لفظة «مَدام» ارقّ من لفظة «عقيلة» لما في تلك من حروف الذلاقة السلسة السهـلة في التلفُّظ وما في هذه من الحروف الحلقية الثقيـلة على اللفظ والسمع. لكن مثل هذا العمل يقضي بنا الى اتّخاذ جميع الالفـاظ الافرنجية السلسة ونبذ ما يقابلها بالعربية لكون كلم هذه اللغـة ليست بسلاسة الحروف الافرنجية لخلوّها من اللفظ الحلقيّ. وفي هذا الرأي من التعليل ما لا يقبلهُ انسان .

وان اراد بهذا الفرق الجسيم ان العقيلة مثلًا ليست تعريب لفظة « مدام » قلنا: وهل نحن ملزومون بالتعريب الحرفيّ في جميع المواطن أو ليس في العربيــة من الاسماء ما هي مرتجلة ومنها ما هي مأخوذة من المشابهــة او المجاز. فالمدام مثلًا هي من هذه الاسماء المرتجلة في العربية. هذا وان اراد ان يستعمل معرب لفظة « مدام » لا مانع لذلك لانها من اصل لاتيني وهو mea domina ومعناها سيدتي. ثم خص الافرنج هذا اللقب بالمرأة المزوَّجة عند مخاطبتهـا تأدُّبًا. واما مادموازيل فهي تصغير سيدتي ويقابلها بالعربية سُوَيدتي. ثم قيدوها بلقب الابنة قبل الزواج وهو مما لا يناقشهم احدٌ على هذا الوضع او الاصطلاح او التقييد اذ الغاية من ذلك كله حضور المعنى للذهن ساعة التكلم فاذا تحقق ذلك في لفظتي الآنسة والعقيلة حصل المراد ولم يبقَ ثمّ « فرقٌ جسيم ». وان كان الفرق الجسيم الذي تكلّم عنهُ هو على غير ما بيّناه ُ فليتفضّل علينـا بالتصريح به لنرى وجه المغمز من هاتين اللفظتين

واما قولهُ: « فضلًا عن صعوبة استعمالها في التخاطب » قلنا: ان كان يريد بذلك ان العقيلة او الآنسة مما يصعب ادخالها في المخاطبة فلا يُقال مثلًا: « نعم يا عقيلتي او يا آنستي » كما تقول: « نعم يا مَدام او نعم يا مادموازيل ». قلنا: وهذا ايضًا لا يمنع دخول هاتين الكلمتين الجديدتين ولا ما هو من مثلهما. لان الغـالب اليوم في لغة المخاطبة هي اللغة العاميّة ولا يحق لهذه اللغة ان تقوم بيننا بمنزلة الحكم في هذا الموضوع لاننـا لو سلّمنا اليها زمام الحكم والقضاء في هذا البحث لحَكمت على اللغة الفصيحة بالموت والانقراض بتّةً. ولو رجع المراسل الى إعادة قراءة ما كتب لوجد أغلب الالفـاظ التي استعملها في تلك النبـذة غير مستعملة في المخاطبة. وعليه فاستعمالهُ اياها في الكتابة لم يكن جائزًا لهُ. وهو مردود من جميع الوجوه. وهو الاوّل في نبذ هذه النتيجة

والخلاصة مما تقدّم ان استعمال الآنسة والعقيـلة بدلًا من مادموازيل ومَدام مما يجب ان يحافظ عليهما وعلى استعمالها

١ واما معنى هذه الجملة: Bossuet est un homme de génie فهو: « انّ بوسوه لذو مبتكراتٍ » وهو محصّل معنى العبارة الافرنسية وليس بالتعريب الحرفيّ. ومثلها: « أنهُ لداهيةٌ دهياء » وغير ذلك من العبارات الكثيرة في العربية مما يطول ذكرهُ

٢ً واماً كاراف او كراف carafe فانها من اصـل عربي على ما يشهد به لغويو الافرنج فهو غِراف او جِراف ولهُ وجهٌ . لان معنى غرف الماء اخذهُ بيـدهِ ثم توسَّعوا في اللفظة فاطلقوها على « قارورة » ضيّقة الراس عظيمة البطن . وصيغة فِعَال تؤيد هـذا المعنى . اذ انهم سمَّوا بهِ مكيالاً ضخماً وهو الجراف او القنقـل ايضاً . واللفظة غِراف وان كان لا وجود لها بالعربية في هذا المعنى فلكون لها وجهٌ فيها جاز استعمالها على هذه الصيغة لهذه القارورة . وللعرب لفظة اخرى بهذا المعنى وهي الكُراز والكُرَّاز وزان غُراب ورُمَّان ومنهـا اللفظة الافرنجية alcarazas التي معناها بالعربية البرَّادة والكُرّاز ايضاً لان لهذه اللفظة الاخيرة معنًى ثانيًا في العربيـة وهو « الكوز » الضيّق الرأس الواسع البطن

٣ً جاط . ان أُريد بهِ الصحن الكبير الذي يُدار بهِ على الآكلين فهو الغَضارة وهو عربيٌ وان انكرهُ البعض لانها تتّخذ من الغضار وهو الطين الحرّ الذي يُتّخذ منهُ الخزف الذي يُسمَّى غضار (عن التاج) ولانهُ قد يسمَّى الشيء باسم اصلهِ كالنَّبعة للسهم والمُضغة للآدمي . وان أُريد بالجاط معنى لفظتهِ الاصليَّة الافرنجيَّة اي jatte فهو قصعة او جفنة

٤ً كبَّاية . هي لفظة عاميَّة مُحرَّفة عن كوبَة فقالوا اولاً كوباية ثم كُبَّاية كما يقول اهل العراق في جوزة ولوزة وموزة جَوزاية ولوزاية وموزاية . وسبب تجوّزهم في ذلك على ما اظنّ هو ان في العربية الفاظاً مثل « نَناة ونَناية ونَقاة ونقاية » فنقلت العامَّة هذه الصيغة الى كل لفظة تُشبه نفاة وزنًا فيقولون مثلاً قطاية في قطاة ونواية في نواة الخ . ثمَّ اطلقوها على غير الناقص وعلى ما لم يكن بوزن نفاة كتمرة وتمراية وموزة وموازية . ثمَّ على صيغة مصدريَّة معروفة عندهم فيقولون قوّاية في قوَّة مصـدر قوي وقراية في قراءة مصدر قَرا تصحيف قرأ وحداية في حُداء مصدر حدا . وهذا النوع من الوزن مأخوذ عن قدماء العرب قال الرَّاجز :

اما تريني رجلاً دعكايهْ عكوّكا اذا مشى درحايهْ
تحسبني لا أُحسن الحدايهْ ايايه ايايه ايايه

(قالهُ التاج في مادَّة درحاية)

٥ً سوبيرا soupière . اناء او صفحة الحسا او الحساء بالقصر والمد . وهل من

حاجة ان نفرد دائماً كلمة لكل كلمة مفردة افرنجيــة فان لغة الانكليز على سعتها أغلب الفاظها مركبة من كلمتين . وانما مثل هذه الكلم قليــلة في اللغة الفرنسية لان الاضافة عند اصحابهــا لا تكون الّا بواسطة حرف جرّ او اداة اخرى فتكثر حينئذٍ الكلمات للمسمّى الواحد واما العربية فهي كالانكليزيّة واليونانيّة واللاتينيّة من هــذا القبيل . وان اصرّ المراسل على إفراد لفظة واحدة فليقل حَسَويّ او حسويّة على تقدير إناء او صحنة او نحوهما . ومثل تغليب المنسوب بدون ذكر الموصوف كثير الوجود في العربية من ذلك السمهريّ والردينيّ والخطّيّ والمشرفيّ والهندوانيّ الى آخرهِ

٦ً واما الطرّاحة فيصحّ ان تسمّى بالنضيدة لان النضيدة ما حُشي من المتاع والوسادة . وعليهِ فيجوز ان نسمّي بها الطرّاحة من باب تقييد المطلق وتخصيص الشكل لانّ ذلك متوقّف على الاصطلاح « ولانّ النسبة اللغويّة تتّصل باضعف سبب » وعلى هذا المبدإ مبنيّة سعة اللغة العربية كما يتحقّقهُ كل من تصفّح كتاب متن لغةٍ

هذا واختم كلامي بقولي : ان المناظرة في هذا الموضوع تكشف كثيراً من دقائق واسرار اللغة العربية . ولهذا فليُفتح باب هذا الميدان . ولتجرِ الفرسان . وليبــذل كلٌّ ما في وسعهِ وعلى الله التكلان

الصابئة او المندائية

لحضرة الاب انستاس الكرملي البغدادي (لاحق بسابق)

٣ً طور عبادة النجوم برموز واصنام

ممّا مرّ بك تتحقّق ان المدة التي انقضت بين الانتقال من عبادة الكواكب مباشرةً الى عبادتها بهيئة الرموز والاصنام لم تكن محدّدةً بل ربّما كانت متصــلة بالمدّة الاولى عند طائفةٍ ومنفصلة عنها بِبرهةٍ من الزمان عند طائفة أُخرى ومــا ذلك الّا للسبب الذي يجدهُ كل عاقل من نفســهِ وهو السبب الذي صرّح بهِ المسعودي في كتابهِ مروج الذهب اذ قال : « فاقاموا على ذلك (اي اقاموا على عبادة الله والملائكة) برهةً من الزمان وجملةً من الاعصار حتى نبّههم بعض حكمائهم على انّ الافلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئيّة الى الله تعالى . وانّها حيّة ناطقة . وان الملائكة تختلف

فيما بينها وبين الله وان كل ما يحدث في هذا العالم فانما هو على قدر ما تجري به الكواكب على أمر الله فعظَّموها وقرَّبوا لها القرابين لتنفعهم. فمكثوا على ذلك دهرًا. فلمَّا « رأوا الكواكب تختفي بالنهار وفي بعض اوقات الليل لما يعرض في الجو من السواتر امرهم بعضُ من كان فيهم من حكمائهم ان يجعلوا لها أصنامًا وتماثيل على صورها واشكالها فجعلوا لها أصنامًا وتماثيل بعدد الكواكب المشهورة » وكل صنف منهم يُعظِّم كوكبًا منها ويُقرِّب لها نوعًا من القربان خلاف ما للآخر على أنهم اذا عظَّموا ما صوَّروا من الاصنام تحركت لهم الاجسام العلويَّة من السبعة بكلّ ما يريدون وبنوا لكل صنم بيتًا وهيكلًا مفردًا وسمَّوا تلك الهياكل باسماء تلك الكواكب » اه

ومن عبادة الأجرام بالرموز تعظيمها بهيئة النار وهذا الفرع من الصابئيَّة استقلَّ عن الاصل بعد انفصاله عنهُ فدُعي بالمجوسيَّة وهذه العبادة متوغلة في القدم اي بقدم عبادة النجوم كما يشهد بذلك المؤرخون والاخباريون الاقدمون والمحدثون وهو ما أيَّدتهُ اكتشافات العاديَّات في البلاد القديمة. وقد اشار الى قِدَم عبادة النار بشَّار بن بُرد اذ قال:

الارض سافلةٌ سوداء مظلمةٌ . والنار معبودةٌ مذ كانت النارُ

وقد قال المسعودي في هذا الصدد ما حرفهُ: « انهُ (اي أفريدون الملك) وجد نارًا يعظّمها اهلها وهم معتكفون على عبادتها فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم في عبادتها فأخبروهُ أنها واسطة بين الله وبين خلقهِ. وانها من جنس « الالهية النوريَّة » واشياء ذكروها أعرضنا عن ذكرها لاعتياصها. وذلك انهم جعلوا للنور مراتب وفرَّقوا بين طبع النار والنور. وان بالنور صلاح هذا العالم وشرف النار على الظلمة ومضادتها لها ومرتبة الماء وزيادتهُ على النار باطفائهِ ومضادَّتهُ لها وانَّهُ اصل لكل شيء ومبدأ لكلّ تمام » اه

قلتُ: ومن القول بالظلمة والنور وانتشارهِ في بلاد الفرس وبقائهِ فيها على كرور العصور تولَّدت بعد ردح من الدهر الثنويَّة الذاهبة الى ان فاعل الخير هو نور وفاعل الشرّ هو ظلمة وهما قديمان قديران قويَّان متضادَّان. وقد بقي من المجوسية والثنويَّة عند الصابئة الحاليين تعظيمهم للنار والرعد والبرق والشُّهب والنيازك وسائر الظواهر الجوَّيَّة وكذلك يعظمون الماء تعظيمًا يكاد يكون عبادةً اذ ليس من سنَّة من سننهم الّا ومن

اللازم اللازب ان يكون فيها الماء والنار. والّا تمتنع إقامة تلك السنن والشعائر الدينيّة. ولهذا تراهم لا يقيمون الّا في بلادٍ مبنيّة على النهر ليتيسّر الحصول على الماء.

ومن بقايا عبادة الاوثان عند الصابئة الحاليين استعمال عباراتٍ في السحر ومعالجة المرضى وطرد الشياطين على الطريقة المعهودة عند قدماء الكلدان وهي التي عثر عليها علماء الآثار في هذه الازمان. راجع كتاب لنورمان: « تاريخ الشرق القديم » Lenormant. - *Hist. anc. de l'Orient.* V, p. 151, 154, 224 ولولا ضيق المقام لاوردنا كلامهُ معرّبًا. وعند هذا العاجز قدحٌ قديم وُجد في جوار شطرة المنتفق به عبارات وعزائم تشبه العزائم السحريّة الكلدانية القديمة على ما ذكرها العلامة لنورمان في كتابهِ الآخر المُترجم « بالسحر عند الكلدان »

ومما حفظوا من عقائد قدماء الكلدان كيفيّة تولّد الآلهة وكيفيّة خلق الانسان الاول. فان كتاب الصابئة الموسوم باسم « سِدرا ربّا » (اي الكتاب العظيم) يقول عن مقال اولئك الكلدان الاقدمين. راجع كتاب الشرق القديم للعلامة المذكور ص 239, 240

ومن تلك البقايا الوثنيّة الكلدانية عبادة الصابئة من الفرقة الحرّانية للقمر فانهم بقوا عاكفين على تلك العبادة الى نحو غرّة القرن التاسع عشر. وكانت الصابئة الحرّانية تسمّي هيكل القمر هناك: « هيكل سين » كما هو اسمهُ عند قدماء اليونان. وقد جاء في التاريخ: ان ماقرينس الامبراطور الروماني قُتل في ذهابهِ الى هيكل سين في حرّان ليقرّب قرباناً مشهوداً ». وقد جاء عن يوليانوس المارق: انهُ لمّا وصل الى حرّان واراد الخروج منها نكس رأسهُ ساجداً لآلهة الحرّانيين فسقط تاجهُ عن رأسهِ وُصرع فرسهُ الذي كان تحتهُ (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول. طبعة الاب صالحاني اليسوعي ص ١٣٩). وقد ذكر العرب هيكل سين في كلامهم عن الصابئة الحرّانية ونجتزئ بذكر كلام واحد منهم. قال المسعودي في مروج الذهب: « وقد حكى رجلٌ من ملكيّة النصارى من اهل حرّان يُعرف بالحارث بن سنبساط للصابئة الحرانيين اشياء ذكرها من قرابين يُقرّبونها من الحيوان ودُخن للكواكب يبخرون بها. وغير ذلك ممّا امتنعنا عن ذكرهِ مخافة التطويل. والذي بقي من هياكلهم المعظمة في هذا الوقت وهو سنة ٣٣٢ هـ (٩٤٣م) بيتٌ لهم بمدينة حرّان في باب الرقّة يعرف بصلينا (كذا في النسخة المطبوعة

في مصر . وفي مخطوطٍ « بيمنسينا » وهو الاصح عندي . لان ذلك الهيكل كان يسمّيهِ اليونان : « هيكل مِين Μήν » وهو الاله القمر عند يونان حرّان وفريجية في ذلك العهد . و « سين » هو اسمهُ باللغة الكلدانية القديمة فكأنَّ المسعوديّ سمع باسم ذلك الهيكل باليونانية مفسَّرًا بردفهِ بالكلدانيَّة او بالكلدانية مفسَّرًا باليونانية فظنَّهُ اسمًا مركَّبًا ثمَّ صحَّفهُ الكتَّاب لعجمة الكلمة) وهو هيكل آزر ابي ابرهيم الخليل عم » اه

ومن الآثار الوثنيَّة الكلدانية او الاشوريَّة عند الصابئة الحاليين اسماء مركَّبة من كلمتين أُولاهما اسم او فعل وثانيهما اسم الجلالة : « إيل » . واوَّل من احدث هذا البناء الكلدانيون الصابئون وعنهم اخذها الاسرائيليُّون . وقد بيَّنتْ صحَّة هـذا الرأي مكتشفات هذه الايام . ومن تلك الاسماء الكلدانيَّة القديمـة : « سين إيلو (اي الإله المعروف باسم سين (القمر) هو إلهي . ومحصَّلهُ : إلهي هو سين) وبَعل إيلو (اي بعـل إلهي) وأرْبَع إيلو (وهو اسم أربيل الحاليَّة . واربيـل منحوتة من تلك ومعناها : مدينة اربعة الآلهة(١ وشُمو لا إيلو (اي ألا أُحبُّ إيلو هنا) وأَبِل إيلو (اي انت ابن ايلو) وأبو إيلو (اي ابوكِ هو إيلو) ومَنُّو إيلو (المنحوتة من : « مَنُّو كِمْ إيلو » اي مَن مِثل إيلو فنقل العبرانيون هذا اللفظ والمعنى فقالوا « ميكائيل » المركبة من : « مي كَ إيلو » اي : « مَن مثل الله » وبِظُلْ إيلو (اي انا بظلّ إيلو) ويُوسف إيلو (واصلها : أَبِل يوسف ايلو اي : ابن زادهُ إيلو) والصابئـة الحاليون نقلوا هذا التركيب الى اسماء روحانيّيهم الذين في السماء لما في اسم إيل او إيلو من العظمة والجلالة والربوبية فقالوا مثلًا : هيويل (وهو قلب وتصحيف شَلا اي قوَّة ومعناهُ : الروحانيّ القويّ او قوَّة الله او إيل القويّ) ومركَازيل (اي إيل او الروحاني المغتاظ) وأزازيل اي الروحاني العزيز او القوي) وتَقفيل (اي الروحاني القدير) ويُونيل (اي الروحاني المُريد) الى غير ذلك ممَّا يطول ذكرهُ ويصعب حصرهُ

١) سأَل سائلٌ الضياء يومًا (١ : ٢٢٧) ان يفيدهُ : « عن الصحيح من قولهم جاء الثلاثة الرجال وجاء الثلاثة رجال » فاجاب : « الصحيح المثال الاول واما الثاني فمع انَّهُ من التراكيب المهجورة فصحتهُ ان تنصب الرجال (كذا) فتقول : جاء الثلاثة رجالاً وكذا المئة رجلًا والالف رجلًا لانهُ مع تعريف إسم العـدد تمتنع الاضافة فلا يبقى الَّا النصب على التمييز » (كذا) غير اننا قرأنا في شرح درَّة الغوَّاص للآلوسي المترجم بكشف الطرَّة . عن الغرَّة . ما نصُّهُ (ص ٩٨) : « ويدخلون ال على العدد المفرد ومعدودهِ مع اضافتهِ اليهِ » (كما فعل الضياء مرارًا عديدة) فيقولون:

وختاماً لهذا الطور نقول: لله درّ ابن العبري ما احسن قولهُ في هذا الصدد وقد ذكر ما ذكر كأنهُ رأى الامور البارحة ورواها اليوم اذ قال في الصفحة ٢٦٦: « والذي تحقّقنا من مذهب الصابئة ان دعوتهم هي دعوة الكلدانيين القدماء « بعينها » وقبلتهم القطب الشمالي (الى يومنا هذا) ولزموا فضائل النفس الاربع (حتى هذا اليوم) و « المفترض » عليهم « ثلاث » صلوات اولها قبل طلوع الشمس بنصف ساعة او اقلّ لتنقضي مع الطلوع ثماني ركعات في كلّ ركعة ثلاث سجداتٍ. والثانية انقضاؤها مع نصف النهار والزوال خمس ركعات في كل ركعة ثلاث سجدات. والثالثة مثل الثانية تنقضي مع الغروب (وهذا كلهُ جارٍ الى هذا اليوم بحرفهِ). والصيام المفروض عليهم: ثلاثون يوماً اولها الثامن من اجتماع آذار. وتسعة ايام اولها التاسع من اجتماع كانون الاول. وسبعة ايام اولها ثامن إشباط (لم يغيّروا من ذلك شيئاً الى هذا اليوم). ويدعون الكواكب (هذا أمرٌ لا يشوبهُ ريبٌ) وقرابينهم كثيرة لا يأكلون منها بل يحرقونها. (كل ذلك صحيح). ولا يأكلون الباقلّى والثوم وبعضهم اللوبياء والقُنّبيط والكرنب والعدس (هذا قد أبطلهُ المحدثون لاقامة الصابئة الخاليين في بلاد ليس لهم فيها طعام آخر سوى هذه القطانيّ). وأقوالهم قريبة من أقوال الحكماء ومقالاتهم في التوحيد على غايةٍ من التقانة. ويزعمون ان نفس الفاسق تُعذَّب تسعة آلاف دور ثم تصير الى رحمة الله تعالى » اه. (وهذا هو نفس معتقدهم الى هذا اليوم)

٣ طور ادخال آراء فلسفية في الصابئة

لمّا فسدت الاديان. وبلغت هذا المبلغ من الضلال والطغيان. عمّت الصابئة . بفرعيها

ما فعلت الثلثة الاثواب مثلًا: (والاختيار ان يُعرَّف الاخير من كلّ عدد مضافٍ فيقال: ما فعلت ثلثة الاثواب. وفيمَ الثلثمائة الدرهم. وعليهِ قول ذي الرمّة:

وهل يرجع التسليم او يكشف العمى ثلث الاثافي والديارُ البلاقعُ)

ظاهر قولهِ: «والاختيار» ان ذاك ليس بممنوع. وفي التسهيل: اذا قُصد تعريف العدد أُدخل تعريفهُ على الآخِر ان كان مضافاً وعليهما «شذوذاً لا قياساً» خلافاً للكوفيين. وهل يصح ان يقال: الألف درهم بتعريف المضاف فقط. حكى ابن عصفور جوازهُ. ووقع في صحيح البخاري: واتى بالالف دينار. والمانع لما ذكرهُ المصنّف قياسهُ على « الحسن وجهٍ » والفرق واضح. اه. قلتُ: وعلى كلٍ فان الشيخ صاحب الضياء ربّما صوَّب سهمهُ الى الاصحّ من كلام العرب فلا يجوز لهُ (وان كان يجوز لغيرهِ) ان يتشبّث بأذيال الصحيح (ان سمّيت ما مرّ بك صحيحاً) ويترك مطارف الأصحّ المشهور المتبوع

الوثنيَّة والمجوسيَّة . جميع البلدان . وعموم سلائل الانسان . وبقيت محافظة على ذاك المعتقد او الايمان . برهةً مديدةً من الزمان . لا بل وبقي منها من حافظ عليه حتى الآن . امَّا الصابئة التي بقيت منحصرة في ما نسمّيه اليوم بلاد العرب وجنوبي تركيَّة آسيَّة ووسطها . فانها لا زالت متوغلةً في عقائدها . مجدّدةً آراءها على الدوام . على اثر ما ينبغ على طول الايام . من المذاهب الدينيَّة . والتعاليم الفلسفية . وكما انهُ ليس بيدها كتاب مُنزل تعتمد عليه . او سند تستند اليه . وان لا مناص لها من مخالطة الأقوام التي تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم . اندفعت وراء تلك الآراء . كأنَّ وراءها السيل الجحاف . وهكذا « فَرارة تسفَّهت قَرارة » حتى آل بها الامر الى ما آل . امَّا الاجيال الصابئيَّة التي شطَّ مزارها . واعتزلت الأمم الغريبة الجنس فانها بقيت متحذرة حذَر القرَلّى من البدع والمبتدعات . ناظرةً اليها نظرها الى شرٍّ عظيم وضرٍّ جسيم حتى ثبتت في وثنيَّتها او مجوسيَّتها الى يومنا هذا

ولمَّا رأى الله عزَّ شانهُ ما وصل اليه ابن آدم من التيه والضلال . ولم يسلم من الغواية جيل من الاجيال . أراد ان يصطفي من بين الأمم . امَّة بقيها من التُهم . لتبقى محافظةً على عبادة الله الصمد . الواحد الأحد . وهو من عنده يعدّها بعونه . ويرعاها بعينه . وندبَ لان يكون رئيسها الهمام . وامامها المقدام . ذاك الرجل العظيم المعروف يومئذٍ باسم أبرام . فقال لهُ : « اخرج من ارضك (اي أور الكلدانيين) وعشيرتك وبيت ابيك الى الارض التي أُريكها . وانا اجعلك أمةً كبيرةً وابارككَ واعظّم اسمك . . . فخرج (ومن معهُ) من أور الكلدانيين ليذهبوا الى ارض كنعان فجاءوا حرَّان وأقاموا هناك . . . . وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة حين خرج من حرَّان . (سفر الخلق ١٢ : ١ — ٥ و ١١ : ٣١) . ومنذ اصطفى الله أبرام اخذت الصابئة بالتزعزع

والمأثور عن الخليل انهُ وقعت لهُ مجادلات كثيرة بينهُ وبين ابناء جلدته من الصابئة الكلدان حتى ان هؤلاء زجُّوهُ مرَّةً في النار فجعلها الله عليه بَردًا وسلامًا . (وهذا الرأي هو رأي العرب باسرهم من نصارى ومسلمين . وهو رأي اليهود ايضًا ورأي القديس هيرونيمس في تفسيره لسفر الخلق (Trad. Heb. in Gen.) لا بل ونسخة التوراة اللاتينيَّة المعروفة بالفلكاتا اي العامّية تُشير الى ذلك من طرفٍ خفي فانها تقول ما نصُّهُ :
Tu...Domine...qui...eduxisti eum (Abram) de igne Chaldæorum.-

Neh. IX,7 ومعناهُ: انت الرب الاله الذي اخرجتهُ (اي أبرام) من نار الكلدانيين. امَّا ترجمة الآباء اليسوعيين فعرَّبت الآية عن اصلها العبراني فقالت: «من أور الكلدانيين». وسبب هذا الفرق في الاستخراج ان اسم النار واسم مدينة الكلدانية اي أور همَا واحد بالعبرية.

والظاهر من التنزيل الجليل ان ابراهيم الخليل هدى الى الله قوماً من الصابئة الى الدين القويم. وممَّا يثبت كلامنا هذا آية التوراة القائلة: فاخذ أبرام... النفوس التي امتلكها في حرَّان وخرجوا ليمضوا الى ارض كنعان (سفر الخلق ١٢: ٥) (١

وممَّا يؤيد قولنا هذا اولاً: الرواية التاريخيَّة نفسها. ثانياً: اللغات الساميَّة جميعهنَّ. ثالثاً: شرح لغويّي العرب للفعل الذي اشتقوهُ من الحنفيَّة اي تحنَّف فانهم قالوا في تفسيرهِ على ما نقلهُ صاحب التاج. عَمِل عَمَل الحنيفيَّة. نقلهُ الجوهري: يعني شريعة ابرهيم عم... لانهُ تحنَّف عن الاديان (الوثنيـة والمجوسيَّة والصابئيَّة) ومال الى الحقّ... او تحنَّف اختتن (كما فعـل ذلك ابرهيم فكان أول من اختتن وختن) او

١) ولا بد من سائل يسألنا هنا: هل عبـد ابونا ابرهيم الاصنام والكواكب في صغرهِ قلنا: الامر مشكوك فيهِ والقول بانهُ عبدها ثم عدل عنها لا لوم فيهِ ولا تثريب. بل الادلَّة متضافرة على انهُ كان صابئاً ثم حَنف. وفي قولهِ تعالى لابرام: «اخرج من بيت ابيك» اشارة الى ما في بيت أبيهِ من عبادة الاصنام. ولا بدَّ من أن الاب أجبر ابنهُ غير مرة على اقامة شعائر تلك العبادة ليعوّدهُ عليها منذ نعومة اظفاره. ومثل هذه الاشارة ايضاً ما جاء في سفر يشوع ٢٤: ٢ وفي سفر نحميا ٩: ٧ وفي سفر اشعيا ٤٣: ٢٧ وممَّا يثبت هذا الراي تلقيب العرب لابراهيم الخليل بالحنيف والحنيف كلمةٌ شائعة في اللغات السامية مشتقة من فعل חנף العبرانية ومعناهُ: لوَّث ودنَّس الشيء. ومنهُ: وثَّنهُ. لان الوثنية دنسٌ في المعتقد ومثلهُ في الآرامية حَنفا اي وثني. وكذلك كان يجب ان يكون معنى الحنيف او الحنيفي في العربية بمعنى الوثني. لكن كيف نُقل المعنى الاصلي الى العرفي اي الموحِّد او من كان على دين ابرهيم. قلنا: هذا حاصل من ان اهل ابرهيم كانوا من عبدة الاصنام ولمَّا هدى الله خليلهُ الى دين الحق فاهتدى بقي لقبهُ حنيفاً كما كان قبلًا غير انهُ انتقل مؤداهُ من مجرَّد معنى الوثني الى معنى «الوثنيّ المهتدي» للسبب المذكور. ولمَّا انتقل معنى هذا اللفظ بانتقال معتقد ابراهيم خصَّ العرب حينئذٍ لفظة الوثنيّ بمن بقي على عبادة الاصنام. هذا ما وقع في العربية لكثرة ما فيها من الالفاظ ولتمكُّن العرب من تعيين معانيها في ذلك الحين لعدم سهولة تقييد معاني الفاظ اللغة بالكتابة ولحداثة انفصال هذه اللغة عن امِّها. واما في سائر اللغـات الساميَّة فقد بقي معنى الحنيف على أصلهِ اي بمعنى النجس والوثني والكافر. وكذلك في اللغـة الحبشيَّة

اعتزل عبادة الاصنام (كما اعتزلها الخليل) وتعبّد (كما تعبـد ابو المؤمنين) اه · رابعاً: قول عرب الجاهليّة هذا المقال · اورد صاحب التـاج في مادة الحنيف ما نصّهُ: قال ابو عبيدة: وكان عبدة الاوثان في الجاهليّة يقولون نحن حُنفـاء على دين ابراهيم فلمّا جاء الاسلام سمّوا المسلم حنيفاً · وقال الاخفش: وكان في الجاهليّة يُقـال: من اختتن وحجَّ البيت قيـل لهُ حنيف لان العرب لم تتمسك في الجاهليّة بشيء من دين ابرهيم غير الختان وحجّ البيت · وقال الزجاجي: الحنيف في الجاهلية من كان يحجّ البيت ويغتسل من الجنابة ويختتن فلمّا جاء الاسلام كان الحنيف المسلم لعدوله عن الشرك » اه

وقد اوردنا كل ذلك عن ابرهيم الخليل ليتبيّن للعاقل ان الصابئة لم يدخلوا شيئاً في دينهم على عهده بل اهتدت طائفة منهم على أيديهِ · واخذت وطائد معتقدهم بالاهتزاز · وقد اورد العرب تفصيل ما دار بينهُ وبين مناظريه في كلام طويل لا محلّ لذكره هنا · وان شئت ان تقف على شيء منهُ فاطلبهُ في كتاب المِلَل والنحَل للشهرستانيّ

ولمّا جاء موسى الكليم · وسنّ السُّنن عـلى سَنن قويم · ورسم رسوم الذبائح والقرابين · وعيّن المحلّل والمحرّم اكلهُ من الحيوانات والطيور والاسماك بكلام مُبـين · وانتشر دين اليهود في المعمور · وأصلحت ذاتُ البـين بين الآمر والمأمور · فقويت شوكتهم · وامتدّت سطوتهم · أدخل الصابئة شيئاً كثيراً من الشعائر الدينيـة · والرسوم الموسويّة · امّا ليغشّوا على الأغرار بقاءهم على عبادة الكواكب والاوثان · واما تظاهراً باليهودية ليتركوا وشأنهم على ما هم عليهِ من الطغيان · وسوف ترى في محلّهِ السنن التي اقتبسوها من الموسويّة · ما لا يبقي ريباً في الحقيقة الراهنة التاريخيّة · الّا انهم لم يقبلوا قيداً من تلك القيود · وهو الختان المعتبر علامةً مميّزة لليهود · وعندهم من يُختتن · يتهوّد فيُلعن · فلهذا لا يكرهون الختان · بل يكرهون اعظم الكراهيـة كل دين من الاديان · أُدخلت فيهِ هذه السُّنّة · ولا يخالطون المختون الّا بكلّ انتبـاه وفطنة · واذا كلّموهُ يغتسلون بعد ذلك · لانهم يعتبرون مخاطبتهُ جنابةً بل من اعظم المهالك

وانّا لم نعيّن لاطوار الصابئة طور اقتباسهم السنن الموسويّة لانّ هـذه القُربات داخلة في اقامة الشعائر ولا تمسّ المعتقـد بشيء · وانا قد قسمنا تلك الاقسام الكبرى من جهة المعتقد لا من جهة المناسك اذ لو أردنا ان نلتفت الى إدخال الشعائر لاتّسع علينا الخرق وامتنع الرّتق

وبقيت الامم منقسمة الى تلك الاقسام العظمى في الدين حتى جاء عصر فلاسفة اليونان فامتدَّت مذاهبهم بامتداد سطوة ملوكهم فادخل الصابئة ايضًا شيئًا كثيرًا منها. ومن اخصّ الاسباب التي حملتهم على التهافت عليها تهافُتَ الفَراش على السراج ان تلك المذاهب هي من نتائج الوثنيَّة او الصابئية الاولى موسّعة ومَزيد فيها. فلهذا كان دخولها اليهم اسرع من النار في يبيس العرفج. فاخذ شيوخ الصابئة آراء مختلفة من مذاهب اولئك الفلاسفة من افلاطونيين وارسطوطاليين ورواقيّين وابيقوريين وحلوليين على اختلاف اصلهم من يونانيين ومصريين وسوريّين فنشأت حينئذٍ فرق عظيمة في الصابئة امتازت كل فرقةٍ عن اختها بكميَّة مقتبَسها من تلك الآراء او بما قبلتهُ منها او رذلتهُ

(ستأتي البقيَّة)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

احوال لبنان في القرن الرابع عشر قبل المسيح

وفقًا لما ورد في مراسلات تلّ العمارنة

كثيرًا ما اشرنا في سياق كلامنا عن آثار لبنان الى مراسلات تل العمارنة. فأحببنا ان نستطرد الى وصفها لما ينجم عن معرفتها من الفوائد الجمَّة المعربة عن أحوال لبنان قبل تاريخ الميلاد باربعة عشر قرنًا. فان هذا لعمري عهد قديم ما كنَّا لنرجو قبل عشرين سنةً ان نقف على شيء من اخباره. فأتى هذا الاكتشاف في حين لم تهجس فيه الضمائر ولم يخطر على بال. امَّا الفوائد التي تُستخلَص من المكاتبات فقد ألحقناها بآثار بلاد جُبيل لكثرة ورود اسم هذه الناحية فيها فنقول:

ان تل العمارنة مزرعة صغيرة مجاورة لوادٍ موقعهُ جنوبي مدينة المنيا في الصعيد على مسافة ٨٠ كيلومترًا منها عند ضفَّة النيل الشرقية. والوادي المذكور تحيط بهِ الصخور وهو يُدعى باسم المزرعة المنوَّه عنها. وفي هذا الوادي بُقعة واسعة تمتد مباشرةً من قرية « شيخ قنديل » وكان على وجهها أطلال واخربة قديمة. اما الصخور المجاورة فكانت

قد نُثرت فيها مدافن تزينها النقوش والكتابات الهيروغليفية استنتج منها العلماء انَّ ثمَّت ازهرت مدينة « حوت اتن » او « حوت ناتن (١ » كرسي ملك فرعون مصر المدعوّ امينوفيس الرابع وكان هذا الملك بنى تلك المدينة نحو سنة ١٣٨٠ قبل الميلاد وبقيت مدَّةً الى ان خربت بعد وفاته

ولمَّا كانت بعض شهور سنة ١٨٨٨ بينما كان قومٌ من الفلاحين يحفرون بجوار هذه الاخربة اذ عثروا على صناديق خشب مملوءة من قطع الآجرّ كلها مكتوبة على وجهيها باسطر متلاصقة ناعمة. فسُرَّ الفلاحون بهذا الاكتشاف واملوا من بيعهِ ربحًا طائلًا. وحملهم طمعهم الى ان كسروا اكبر هذه الالواح فجعلوها قطعًا ليزيد بذلك عددها وربحهم معًا. ولعلَّ جهلهم كان أودى بهذه الكنوز الدفينة لولا انَّ الخبر بلغ مسامع أولي الامر فبادروا حالًا الى تلافي الضرر وضبطوا ما وجدوهُ من الآجرّ ومنعوا كسرهُ وتشتيت قطعهِ. وقد نال المتحف البريطاني النصيب الاوفر من هذه الكتابات فانَّ منها هنالك ٨٠ آجرَّة كبرى حسنة. امَّا المتحف المصري فاصاب منها نيِّفًا وستين قطعة. وفي دار عاديات برلين منها ١٨٠ قطعة دون القطع السابقة كبرًا وكذلك تمكَّن بعض الخواص فحصلوا على قطع صغرى ابتاعوها لنفوسهم

وما عتم العلماء ان عرفوا ان الكتابات المرقومة على الآجرّ هي الكتابات المسماريَّة البابليَّة وانها تشتمل على سجلَّات الدولة في أيَّام امينوفيس الرابع وابيهِ امينوفيس الثالث فكان لهذا الاكتشاف احسن وقع لدى المستشرقين

وان سأل سائل كيف دخلت اللغة البابليــة في سجلَّات ملوك مصر؟ أجبنا انَّ الامر لا يخلو من بعض الشبهة. وقد ذهب قومٌ من العلماء الى انَّ اللغة البابلية كانت في ذلك العهد اللغة الرسمية بين الدول الشرقية كما ترى اللغة الفرنسية في أيَّامنا. وذهب غيرهم كالاب ديلاتر اليسوعي الشهير (٢ الى ان اهل الولايات الشاميَّة في زمن مكاتبات تلّ العمارنة كانوا يتكلَّمون باللغة البابلية وهو عندنا الرأي الارجح. على اننا بقولنا

---

١) لم يتَّفق العلماء على كتابة الاعلام الواردة في رسائل تلّ العمارنة فاتَّبعنا ما رأيناهُ اقرب الى الصواب

٢) راجع كتابهُ في بلاد كنعان على عهد الدولة المصريَّة Le pays de Channan, province de l'ancien empire égyptien, p. 26-30

هذا لا ننفي وجود لسان غير اللسان الاشوري اخذ مذ ذاك الحين يمتزج بلغة بابل نريد بذلك اللغة الكنعانية التي يظهر منها بعض الآثار في رسائل تل العمارنة. وهذه اللغة الكنعانية هي التي تغلّبت بعدئذٍ في انحاء الشام وطبست (بفرعيها العبرانية والفينيقية) آثار لغة اشور. وهذا يطابق ما نعرفهُ من احوال بلادنا فان اهلهُ كانوا قبل عهد المسيح بثلاثة آلاف سنة قبائل ساميَّة من البابليين ثمَّ لم يزل يهاجر الى سوريَّة جيلٌ من الناس نُسبوا الى الكنعانيّين حتى غلب هذا العنصرُ الكنعاني العنصرَ البابليَّ وقام مقامهُ (١

وعليهِ انَّ اول فائدة تُستفاد من مكاتبات تلّ العمارنة انّها هي شيوع اللغة البابليَّة في لبنان مع ابتداء انتشار الفينيقيَّة. وترى التراكيب الفينيقية في رسائل اهل الساحل لاسيا جبيل وبيروت اكثر منها في غيرها. فيؤخذ من ذلك انَّ سوريَّة كانت وقتئذٍ كمضار يتجارى فيهِ شعبان كبيران: البابلي وهو المتولي على الارض المالك عليها تحت سيطرة فراعنة مصر. والكنعانيّ الذي ينمو ويزداد يوماً فيوماً الى انَّ ثبتت دعائمهُ وامتدَّت اطنابهُ واستولى على السيادة بدلًا من خصمهِ المدحور وغلَّب لغتهُ على لغتهِ

ومن بعد هذه المقدَّمة يترتَّب علينا ان نبحث عن مضمون مكاتبات تلّ العمارنة فنقول انَّ هذه المراسلات تُقسم الى قسمين الاول: يشتمل على الرسائل التي بعث بها الى فراعنة مصر أقيالُ آسيَّة وملوكها غير الخاضعين لدولة المصريين كالحثيين وملوك العراق وبابل واشور. امَّا القسم الثاني فانَّهُ يتضمَّن رسالاتٍ انفذها الى ملوك مصر او وزرائها ولاةٌ وامراء عديدون من سوريَّة وفلسطين. وكانت بلادنا في ذلك العهد تحت حكم مصر فيستشفُّ من مطاويّ كلام الكتبة التذلُّل والتواضع كما يكتب العمَّال الى سادتهم والعبيد الى اولياء امرهم

وفي مقدَّمة هذه الرسائل اسم الكاتب على هذه الطريقة: « عبدك فلان » او « فلان عبدك من مدينة كذا » او ايضاً « فلان كلب الملك ». ولا ترى احداً من هؤلاء الكتبة يلقّب نفسهُ بملك او امير بل يكتفي باسم « خزانو » وهو الحاكم او الوالي. وقد ورد في رسالة حاكم جبيل « ربّ ادَّى » او « ربّ أدّي » قولهُ للفرعون: « لاي سبب

---

١) راجع كتاب المعلم ڤنكلر H. Winckler : *Die Völker Vorderasiens*

جعلني الملك خزانو » فاستدلّ المستشرقون من هذا الكلام ومن غيره انَّ رتبة « الخزانو » كان ملك مصر يقلدها بنفسه الولاة فيخلفهم فيها اولادهم من بعدهم. ويستدلّ من هذه المكاتبات انَّ النساء كُنَّ ينَلْنَ رتبة الخزانو كالرجال وهو امرٌ غريب لم نجد لهُ شبيهاً في تاريخ الشام سوى ما ورد عن زينب في تاريخ تدمر (١

وتحتوي الفاتحة ما عدا اسم الكاتب ذكرَ الفرعون والقابهُ على هذا المنوال: « الى الملك سيدي والهي ونوري وشمس السماء فلان... عبدك وتراب قدميك وسائس خيلك. اني اخرّ على اقدام سيدي سبع دفعات وانطرح سبعاً على صدري وظهري » وفي بعض الرسائل يبالغ الكاتب في التذلّل والخنوع الى ان يجعل نفسهُ « كلباً اهلاً بان يطأهُ سيدهُ تحت اقدامهِ » ثمَّ يلي هذه المقدّمة فحوى الكتاب

امَّا رسائل الملوك فمقدّماتها تُشعر برتبة اصحابها مثال ذلك ما كتبهُ « دوسرتا ملك ميتانّي » اي بلاد ما بين النهرَين وكانت اختهُ زوجةً لأَمينوفيس الثالث وابنتهُ لابنهِ امينوفيس الرابع:

« الى الملك العظيم ملك بلاد مصر اخي وصهري (وفي الاشورية ختني) الذي يحبّني وانا احبُّهُ كتبت هذا لأُفيدك. انا دوسرتّا الملك العظيم صهرك الذي يحبُّك ملك ميتانّي اخوك اني على احسن حال. واقرأ عليك السلام وعلى آل بيتك وعلى اختك وحريك وعلى اولادي وعلى عجلاتك وخيلك ووزرائك وبلادك وكلّ مالك. سلامٌ للجميع بكون الطيب سلام

وفي مكاتبات تلّ العمارنة أعلام مُدن كثيرة نكتفي بذكر ما لهُ بعض العلاقة مع اخبار لبنان وهي: عكّا (كما تُكتب اليوم) وصوري (صور) وصيدونا (صيداء) وبيروتا او بيرونا (بيروت) وجبلة (جبيل) وسمورا او سموري (وهي بلدة تُرى اخربتها على مسافة كيلومترين من مصبّ نهر الكبير شمالاً) وارواد (جزيرة ارواد). ومن المدن الداخليَّة المذكورة في هذه الرسائل. دِمَشقا او دِمَشقي (٢ (دمشق) وقطنا في جوار دمشق (ولعلّها قرية قطنة)

ولا ترى في مكاتبات تلّ العمارنة ذكرًا لجبل لبنان لاسيا جهاته الداخلية الّا نادرًا. وقد زعم الكولونل الانكليزي كُندر (Conder) انَّهُ وجد فيها اسماء البترون وجونية

١) وقد اخبر المسيو دوسُّو في رحلة حديثة الى جبال النصيريَّة انهُ وجد امرأةً كانت متولّية رُتبة المختار في ضيعتها

٢) راجع مقالتنا في اسماء دمشق (المشرق ٣ : ٦٥٨)

وشكّة وشتورة ومكسة في البقاع (١ . بيد انَّ العلماء الاثبات لم يوافقوهُ على رأيهِ حتى الآن

ومن الاعلام المذكورة اسم مدينة امّيا ذهب الاب ديلاتر اليسوعي الى ان موقعها وراء لبنان او في جهتهِ الشماليّة . وقد زعم كُندر ان امّيا هذه هي اميون الحاليّة في معاملة الكورة . فان صحَّ قولهُ تكون اميون أقدم بلدة نعرفها في داخل لبنان . والرسالة التي ورد فيها هذا الاسم كاتبها احد العمّال المصريين يطلب من صاحب امّيا ان يسلم اليهِ عددًا من العبيد مع ابنة الشيخ ويرسل لهُ فضّةً وعجلات وخيلاً ثمَّ يختم قولهُ بما نصُّهُ : « اعلم ان الملك على احسن حال كالشمس في السماء وان جيشهُ وعجلاتهِ على ما يرام من الصلاح »

وقد جاء ايضًا مرارًا في هذه الرسائل اسم بلدة تدعى « نخاسه » يظنّ العلّامة نيبور (٢ انها كانت في شمالي شرقي لبنان اما الاب ديلاتر (٣ فيجعلها قريبة من حمص . ففي اقوال العلماء كما ترى تباين ظاهر

ولكن ان كانت افادات رسائل تلّ العمارنة قليلةً عن احوال لبنان الداخلية فانّها كثيرة التفاصيل عن المدن الساحلية خصوصًا جُبيل . ولوالِيها « ريب ادّي » وحدهُ نحو خمسين رسالة في مجموع رسائل تل العمارنة

واول ما يستلفت انظار مطالع هذه الرسالات ان مدن ساحل الشام كانت فائزة بنصيب من العمارة والتقدّم فكانت التجارة البحريّة فيها على قدمٍ . وكثيرًا ما ورد ذكر سفن جبيل وبيروت وصيداء التي كانت تمخر عباب البحر المتوسط وتنقل محصولات البلاد الى اماكن شتّى . وما هو اعجب من هذا ان المدن المذكورة كانت قد اتّخذت لها بوارج حربيَّة . والدليل على ذلك ما ورد في رسائل « ريب ادي » الى فرعون قال : « أن اهل ارواد عندك الان فاضبط سفنهم التي هي في مصر » . وقال في رسالة اخرى عن سفن بيروت وصيداء : « أليست هاتان المدينتان تحت ولايتك فولِّ عليها

١) راجع كتابهُ The Tell 'Amarna Tablet. 2 de ed. London 1894

٢) راجع C. Niebuhr: *Die Amarna – Zeil*, p. 26

٣) راجع كتابهُ السابق ذكرهُ ص ٤٧

رجلاً يمكنهُ ان يجهّز سفناً لبلاد اموريّ (١ ». وزاد في رسالة ثالثة ان سفن صيداء وبيروت بلغت ساحل بلاد اموري وقبضت على احدى مراكبها ثم اردف هذا الخبر بقولهِ : « وهذه السفن قادمة الآن لتستولي على بعض سُفني »

ولا عجب من هذا الخصام الواقع بين مدن مجاورة فان رسائل تل العمارنة تنبئنا بان امر بلادنا كان وقتئذٍ فوضى لا تجمع اهلها كلمةٌ. وفي ما يأتي ادلّة على ذلك

امّا تجارة الفينيقيين البريّة فكانت تبلغ الى تخوم مملكة اشّور وكانت قوافلهم تعرف حقّ المعرفة كل الشعوب التي تملك على الاقطار المتوسطة بين بلادهم وبلاد بابل. وقد ورد ذكر هذه الممالك في رسائل تل العمارنة. وكان البابليّون والميتانيون يزاولون صناعة المعادن وخصوصاً صيغة الجواهر الكريمة ثمّ يبيعونها للفينيقيين والفينيقيّون ينقلونها الى الامصار البعيدة. وكان تجار فينيقية يعاملون ايضاً الحثيين في آسيّة الصغرى ويرحلون الى عيلام اي بلاد فارس. ولا غرو فانّهُ يستدلّ من الكتابات الاشوريّة التي سبقت عهد رسائل تلّ العمارنة ان العيلاميين غزوا بلاد فينيقية فتكون الصلات بين الأمّتين نشأت مذ ذاك الحين

امّا الجهات الجنوبيّة فكان الفينيقيّون اعلم بها من غيرها فكانوا يُبحرون بلا انقطاع الى القطر المصري تارةً ليدفعوا الجزية للفرعون واخرى لصالحهم الخاصّة فيبيعون سلعهم ويستبدلونها بذهب مصر الشهير الذي ورد عنهُ في رسائل تلّ العمارنة « انّهُ كتراب الارض كثرةً ». والمظنون ان المصريين كانوا جلبوا هذا الذهب من بلاد النوبة التي غزوها

ثمّ ان تاريخ الازمنة التابعة يشهد على ان سليمان الحكيم وفراعنة مصر في عهده كانوا يستخدمون الفينيقيين لمتاجراتهم وعندنا ان الامر كان كذلك في القرن الخامس عشر والرابع عشر قبل المسيح. وان الفينيقيين لم يجهلوا جنوبيّ جزيرة الهند

وامّا اسفار الفينيقيين الى شمالي غربي البحر المتوسط فلا ذكر لها في مكاتبات تلّ العمارنة. وانّما ورد فيها اسم بلاد « ألاسيا » والمرجّح انها توافق بلاد كرمانيا الحاليّة او احد الاقطار الواقعة في شمالي سوريّة. ومن اوصافها انّها كانت من البلاد

١) ذكر هذه البلاد وارد في ما يأتي والآراء متضاربة في تعيينها

الساحليَّة. وما لا مراء فيهِ ان الفينيقيين كانوا يعرفون من ذلك العهد جزائر الارخبيل وسواحل اسيَّة الصغرة وكانت قنولهم البرّيَّة تتردَّد اليها للمتاجرة

فمَّا تقدَّم يلوح للقراء ان فينيقية كانت بلغت في القرن الرابع عشر قبل المسيح مقاماً عالياً من حيث تجارتها الواسعة وثروتها الوافرة. وكانت المعادن الثمينة كالذهب والفضَّة تُصاغ في جبيل فتجديها ارباحاً كثيرة يدلُّ على ذلك كتاب حوَّرهُ واليها ريب ادّي السابق ذكرهُ. وكذلك كانت الزراعة والفلاحة في حال زاهٍ برائع. وكان الزيت والخمر من جملة ما يقدمهُ الفينيقيون لملوك مصر لوفاء الجزية. ولعلَّ الخمر اللبناني اشتهر من ذاك الحين قبل ما يذكرهُ هوشع النبيّ في سفر نبوَّتهِ. وقد ذكرت ايضاً رسائلنا « الاشجار الكبيرة » التي وهبها ازيرون احد امراء فينيقية ولمَّا كان هذا ملك على قسم من شمالي لبنان فعلى ظنّنا ان الاشجار الكبيرة المذكورة انما المراد بها شجر الارز. وهذا يصحُّ ايضاً عن جبال بيروت وجبيل التي منها قُطعت اخشاب هيكل اورشليم في زمن حيرام وسليمان

وممَّا يدل على عمران بلادنا في ذلك العهد ذكر العجلات الحربيَّة. لانَّ وجود العجلات ينبئ بوجود طرق موثورة وفي توثير الطرق ما لا يخفى من الفضل لانَّ ذلك لا يخلو من الصعوبة في جبال كجبال لبنان (١

وقد جاء في رسالة لاحد ولاة بيروت اسمهُ أمونيرا ما تعريبهُ: « لمَّا ورد امر سيدي وشمسي عليَّ انا عبدهُ وتراب قدميهِ. قائلًا »: «اذهب الى مساعدة انصار سيدك الملك» للحال اطعتُ امرهُ وها. نذا لاحقٌ باصحاب سيدي الملك مع « خيلي وعجلاتي وكل ما لي ». ولهذا الكاتب رسالة اخرى يذكر فيها عجلاتهِ الحربيَّة وما بينهُ وبين ريب ادّي من الصلات الوديَّة (٢

هذا ولا تكاد رسائل ريب ادّي العديدة تخلو من ذكر الحرب التي اصلاها عليهِ « عبد الشرى وابنهُ ازيرون صاحبا اموري الشديدان » . ويؤخذ من سياق

---

١) راجع ما كتبناهُ في هذا الصدد في اثناء كلامنا عن السكك الرومانية في لبنان

٢) الّا ان هذه العلائق الوديَّة لم تدم زمناً طويلًا كما سترى وقد مرَّ ان سفن بيروت استولت على سفن جبيل

كلامهِ انَّ سلطتهُ كانت تمتدُّ على ساحل جبيــل الى طرابلس او مصبّ نهر الكبير شمالًا والى نهر الكلب جنوبًا مع ما يجاور هذا الساحل من لبنان. امَّا والي بيروت أمونيرا فكان نهر الكلب يحدُّ ولايتهُ شمالًا

ومن تصفَّح رســائل ريب ادّى ادرك انَّهُ كان قليل البخت لم تسعدهُ الايام. ومن المبكيات المضحكات ما كتبهُ اليهِ احد عمَّال مصر بسبب قطيع من الحمير كان الفرعون عهد اليهِ بحراستهِ بقرب مصبّ نهر الكبير في بلدة سميرة:

« . . عمَّ الطاعون بلدة سمرّي فامات الرجـال واهلك الحمير . . ويلاً لك من كان يناظر الحمير ان انت لم تهتمّ بها . . تقول ان الحمير وحرّاسها قد أُصيبوا بالطاعون وان مواشي سيدي الملك قد هلكت فاذن يُقتضى عليك ان تطلب غيرها للملك . . »

فهذه الرسالة تفيدنا ان فراعنة مصر كانوا اتخذوا لهم وسطاء من جلدتهم يناظرون ولاة المدن وامراء البــلاد ويوقفون الملك على احوالهم وكان هؤلاء الناظرون يبلّغون مرؤوسيهم اوامر الفرعون. وربَّما لاموهم عن اعمالهم كما رأيت او دافعوا عنهم في وقت الحاجة او اصلحوا ما حدث من الخصام بين اصحاب مدينة وجارتها

ودونك كتابًا آخر من ريب ادّى لبعض الناظرين المصريين اسمهُ امانبا يعرض لهُ فيهِ تشكياتهِ من اخصامهِ:

الى امانبا ابي الصغير من ولدهِ ريب ادّى. اني انطرح على اقدام ابي الصغير. ثمَّ أسألهُ ثانيةً: ألا تستطيع ان تنقذني من ايدى عبد الشرى . . . لا يبالي بامري احد من ولاة المدن ولعلَّهم جميعًا متَّفقون معهُ ولذلك قد استفحــل امرهُ . امَّا انت فاجبتَني : أرسل في صحبتي ساعيًا الى بلاط الملك فان رضي الملك اعدتهُ اليك مع الجنود ليدافعوا عن حياتك. فكان جوابي : انّي لا اتأخر في ارسال الساعي ولكن ليبقَ ذلك سرًّا لا يعلم بهِ عبد الشرى لان ينهامون (وهو ناظر آخر كان للملك مصر) قد ارتشى. فأجبتَ : أرسل سفينة الى ياريمُتا فيأتيك منهُ فضةٌ وحُلل... ويلاهُ من يخلّصني . فاذاً لم تسرع الجنود الى نجاتي سأترك المدينة وانجو بنفسي »

وفي رسائل أُخرى يطلب حينًا اربعة رجال وعشرين عجلة وحينًا اربعين جنديًا (١... وتارةً مئتين من المشاة وفئة من الخيَّالة. الَّا ان النــاظر المصريّ لم يجب الى طلبة ريب ادّى ولم يُبالِ بامرهِ وعليهِ فلم يزل عدوّهُ يغزو اياالتــهُ وتتقوى شوكتهُ حتَّى ضبط كل النواحي المجاورة لبلاد جبيل ولم يترك لصاحبها غير مدينتهِ . والعدوّ

(١ وفي الاصــل يطلب الكاتب ان يكون عشرون منهم مصريين وعشرون من بلاد « ميلوخا » وميلوخا هذه مقاطعة واقعة عند تخوم مصر والشام

المذكور هو ازيرون وكان مالكاً على البلاد الواقعة شماليّ دمشق وعلى قسم من وادي العاصي اي البلاد المتوسطة بين بعلبك وبحيرة حمص فطمع في املاك جاره صاحب جُبيل واخذ منهُ ما اخذ في بقعة طرابلس وجبل عكّار ولبنان

ثمَّ تفاقم الامر حتَّى بلغ مسامع ملك مصر. وفي رسائل تلّ العمارنة ما يُشعر بغضب الملك على ريب ادّى لسوء تدبيره وعلى ازيرون لتعدّيه حدود ولايته . الّا ان ازيرون المذكور كتب الى الفرعون ليزكّي نفسهُ ويلقي تبعة الامر على صاحب جُبيل. وكتابهُ غريبٌ في بابه احببنا ان نثبتهُ هنا:

« الى الملك العظيم سيدي والهي وشمسي من ازيرون عبده اني اقبّل الارض امامك سبع مرّات...اعلم سيدي اني انا عبدك متعفر في التراب امامك مالكي ومولاي . ثم اني اتجاسر واقول لعزّتك لا تُعر سمعك الى الاعداء الذين رموني عندك بالزور والبهتان فاني عبدك الخاضع الى الابد »

لكنَّ الفرعون لم يرضَ بقول ازيرون واستدعاهُ الى مجلسه ليدافع امام الملك عن نفسه. والظاهر انهُ سُجن في مصر ومات في حبسه

امَّا ريب ادّى فلا نعلم عن وفاته شيئًا. وغاية ما يستفاد عنهُ من رسائل تلّ العمارنة انَّهُ عمر زمنًا طويلًا وانَّهُ تولَّى على جُبيل في ايَّام امينوفيس الثالث وابنه امينوفيس الرابع . وفي رسائله دلائل على انهُ كان يطلب خير رعيته وانهُ كان متعبدًا لعشتروت « بعلة جبيل (١ » يذكر اسمها في مقدّمة اكثر رسائله. ويلوح ايضًا من كتاباته هذه انَّ اسرتهُ كانت مالكة على جُبيل وضواحيها منذ قديم الزمن لانَّهُ يشكو الى فرعون مصر امرهُ ويقابل حالهُ السيّئة بحسن حال اجداده فيقول : « ان الملك كان سابقًا يُرسل الى اجدادي دراهم وغير ذلك ممَّا كانوا يحتاجون اليه وكان يسيّر لهم جنودًا امَّا انا فارسلت الى سيدي الملك ساعيًا ليساعدني ببعثة من الجند فلم يرسل اليَّ احدًا »

فممَّا سبق يتَّضح لقرّائنا ما تتضمَّنهُ مكاتبات تل العمارنة من اخبار لبنان وسواحل الشام. لكنَّ اهميَّتها الكبرى مبنيَّة على قدمها لانَّها كُتبت قبل موسى الكليم وقبل سفر التوراة وفيها عدَّة تفاصيل تثبت صحَّة اقوال الكتاب. ومنها ايضًا يتبيَّن ما في درس اللغتين المصريَّة والبابليَّة من الجدوى للعلوم التاريخيَّة. وفي ما

(١ راجع مقالتنا عن الديانة الفينيقية في لبنان

اكتشفهُ المستشرقون منها حتى الآن ضمين عن فوائد اكتشافات المستقبل ان شاء الله (١

الطحال ووظائفهُ

بقلم الشاب الاديب شحاته خزام احد طلبة مكتبنا الطبي

١ تشريح الطحال

الطُحال هو احدى الغُدد الوعائية الدمويَّة ومركزهُ الجانب الايسر من البطن بين الحجاب الحاجز وطرف المعدة العظيم. وهو مفرد قلما شوهد مضاعفًا فاذا وُجد جملة طحالات معًا كان اهمُّها واحدًا وغيره ثانويًّا وما تلك الّا فُصيصات من تبعيَّته بقيت منفصلةً تأتيها فروع من الشريان الطحاليّ. والعضو ذات شكل هلاليّ تتوكّأ تجويفتهُ على طرف المعدة العظيم. لونهُ احمر قاتم يشبه ثفل النبيذ وليس في تركيبهِ النوعي الّا قليل من الصلابة كما ان منسوجاتهِ سهلة التمزيق

امّا متوسّط طولهِ فيبلغ اثني عشر سنتيمترًا وعرضهُ ثمانية سنتيمترات وسمكهُ ثلاثة سنتيمترات. امّا وزنهُ عادةً فمئة وخمسة وتسعون غرامًا بعد الوفاة ومائتان وخمسة وعشرون غرامًا في مدَّة الحياة اذ يكون مفعمًا بالدم كما قدَّر ذلك الاستاذ سابي (Sappey)

وهو معهود بكثرة التحرُّك فلذا تختلف علاقاتهُ مع الاعضاء المجاورة حسب المواضع التي يحلُّها. وتكون تلك التنقُّلات امّا طارئة او فيسيولوجية او مَرَضية. فالفيسيولوجية منها متعلّقة بتأثيرات متعدّدة الاحوال كانقباض الحجاب الحاجز وتعاظم حجم المعدة (من الطعام) والحبل الى غير ذلك

ولهذه الغدة وجهان داخليّ وخارجي وحافتان مقدَّمة ومؤخَّرة وطرفان أعلى وادنى: فالوجه الخارجي محدَّب أملس متصل بالحجاب الحاجز وهو يفرق بينهُ وبين الاضلاع

١) ان اردت كلامًا مطوَّلًا عن مراسلات تل العارنة فراجع مقالات مسهبة كتبها الاب ديلاتر. ومن جملتها نبذة افرنسيَّة دعاها: «اكتشاف تل العارنة». ثمَّ عقَّبها بمقالة اخرى وسمها «بكتابات تلّ العارنة». وللمستشرق الشهير هالفي (J. Halévy) مقالات في الموضوع نفسهِ في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسوية (J. A. 8e série, XVI—XX)

الكاذبة واصل الرئة اليسرى. والوجه الداخلي بهِ ثقوب كثيرة مرتبة على خط عمودي حيث مجموعها يكوّن فرجة الطحال. فالجزء السابق للفرجة في هذا الوجه سويٌّ تقريبًا ولهُ علاقة بطرف المعدة العظيم وهو اكبر من الجزء اللاحق. اما هذا الاخير فهو متصل بالركن الايسر من الحجاب الحاجز وبذيل البنكرياس

والحافة المقدَّمة وهي رقيقة حادَّة محدَّبة فلها علاقة بالحجاب الحاجز ايضًا وقليلًا بالجدران الباطني

اما الحافة المؤخرة فهي اقل تحدُّبًا واكثر سمكًا من المتقدمة وهي متصلة بالجزء الاعلى من الكلية اليسرى وبالحافظة أعلى الكلية المذكورة. وقد يشاهَد غالبًا في طرفي الطحال بعض تشققات مختلفة العمق يُستدل منها على تقسيم العضو اوليًا الى جملة فُصيصات

ثمَّ الطرف الاعلى وهو اعظم من الآخر لهُ علاقة بالحجاب الحاجز واحيانًا بطرف المعدة الايسر خصوصًا في زمن الطفوليَّة. واخيرًا الطرف الأدنى وهو يتصل بالزاوية اليُسرى للقولون المستعرض حيث يقبل في موضع لهُ هناك على شكل جراب مَطْلي رقيق

٢ بناء الطحال

الطحال مغطًّى ظاهرهُ بطبقتين احداها زلاليَّة والاخرى ليفيَّة. وباطنهُ مركَّب من مادَّة جوهريَّة خاصة بهِ يُقال لها اللبّ الطحالي تتخلَّلها اوعية دمويَّة فاعصاب فاوعية لمفاويَّة الخ

اما الطبقة الزلاليَّة فممتدَّة من البريتون وهي ملتحمة كل الالتحام بالطبقة الليفيَّة التي تحتها حيث تحيط بالعضو احاطة تامَّة. ثمَّ تنعطف هذه الطبقة على نفسها وراء الفرجة فتبدو منها ثلاث ثنيَّات: احداها توافي طرف المعدة العظيم والثانية تلحق بالركن الايسر من الحجاب الحاجز والثالثة تتصل بذيل البنكرياس

وتلي الغشاء البريتوني المذكور الطبقة الليفية التي تلمّ بجميع اجزاء العضو كغلاف مستحكم (يشبه غلاف الكبد) وهي مكوَّنة من نسيج موصل تتغلَّب فيهِ ألياف مرنة وتنشأ من وجهها الداخلي زوائد ليفيَّة تخترق باطن الغدَّة وتنقسم الى اجزاء وتنفغم ثمَّ تكوّن خلايا مميَّزة عن بعضها مفعمة باللبّ الطحالي. ثم عند فرجة الطحال حيث يجتمع ما يصدر ويرد من الاوعية والاعصاب وغيرها تمتدّ هذه الطبقة الليفية الى

الداخل على هيئة اغماد غلافية ترافق الشرايين والاوردة فتكسوها واخيرًا تتصل بالزوائد الليفيَّة المذكورة فتشتبك معها. وتحتوي ايضًا هذه الطبقة على بعض ألياف عضليَّة ذات شكل مخصوص وهي مع الالياف المرنة تمنح للعضو خاصيَّتين احداهما المرونة ولا مشاحَّة فيها والثانية الانقباض وقد ثبتت بعدَّة تجارب

امَّا اللبّ الطحالي فهو نوع من النسيج خاصّ بهذه الغدَّة يشغل خلاياها الباطنية وهو ذات لون احمر قاتم او اسمر محمرّ ومعظمهُ مكوَّن من كُرَيات مختلفة الاجناس بعضها جسيمات مُحبَّبة تحاكي في تركيبها الذرَّات اللمفاويَّة وبعضها جسيمات دمويَّة حمراء باقية على وضعها الاصليّ او طرأ عليها شيء من التغير وبعضها ذات حجم يُذكر محتوية على مادَّة ملوَّنة كمادة الدم او جسيمات مستديرة تشبه كُرَيات الدم الحمراء. ثم يوجد اخيرًا سائل احمر يملأ ما بقي من فراغ الخلايا وهو مكوَّن من فضلات الدم التي رشحتهُ الاوعية ويقال لهُ السائل الطحالي

والاوعية الدمويَّة هنا تختلف نوعًا في وضعها عن اوعية الدورة الدمويَّة العامَّة :

فالشريان الطحالي عندما ينفذ الى العضو من وجههِ المقعَّر اي من فرجتهِ كما سبقت الاشارة الى ذلك ينقسم الى فروع متعدّدة في باطن اللبّ الطحاليّ بدون ان يحصل تفمُّم كثير بين فريعاتهِ ثم عند غاية مسيرها تنتهي جميع تلك الفروع الى الاوعية الشعريَّة فتتواصل اطرافها بجُذَيرات الاوردة كما يُشاهد ذلك النظام في سائر اجزاء الجسم او تنتهي في خلايا في عمق اللبّ الطحاليّ حيث تأخذ الاوردة منشأها. غير ان كلّ فرع يبدو من ذلك الشريان الاصليّ يكون مستقلًا بوريد خاصّ لهُ ويتوزَّع على قسم معيَّن بدون اشتباك مع بقية فروع الاوعية المجاورة حتى انَّهُ يمكن ان ينضح كل فرع شريانيّ بمادَّة ملوَّنة مختلفة ولا يرى في كل بقعة الَّا مجرَّد اللون الذي اعطي لها بدون امتزاج مع الالوان الاخرى

هذا ويُرى بالعين المجرَّدة في بعض طحالات بقعٌ دقيقة مستديرة الشكل او اهليلجيَّة ذات لون سنجابي مائل الى البياض يختلف قطرها بين نصف وربع المليمتر يقال لها جُسيمات ملبيجيوس (Malpighi) باسم العالم الذي اكتشفها سنة ١٦٦٦ وهي متفرّقة تبعد الواحدة عن الاخرى بثلاثة او اربعة مليمترات تقريبًا. ذلك ما حدا بالاستاذ سابي ان يقدّر عددها بين سبعة وثمانية آلاف في الطحال الواحد. امَّا مراكزها

فهي اغماد القريبات الشريانية الدقيقة وقد تشبه في وضعها حبات العنقود. ثمَّ تخترقها من الوسط او من احد جوانبها وهو الغالب اوعية شعريَّة من الخارج الى الداخل حيث تكوّن اذ ذاك في قلبهِ ما هو اشبه بضفيرة

وبناء هذه الجسيمات الجوهري كبناء الاجربة المتفرقة المعهودة في المعى الدقيق او الغدد اللمفاويَّة اي على هيئة شبكة دقيقة خلاياها مشغولة بذرّات كثيرة شبيهة بالجسيمات اللمفاويَّة يغمرها سائل ألبوميني شفّاف

٣ وظائف الطحال

لقد طالما خاض علماء الطبّ القديم والحديث غمار الاستطلاع في لجج هذا الموضوع الخطير وبذلوا ثمين اوقاتهم في البحث والتنقيب عن حقيقة سرّهِ تارةً باجراء التجارب المتعدّدة وأخرى باقامة المناظرات البيّنة لتعريف غاية هذا العضو الذي قال بعضهم أنهُ غير ضروري للحياة ولا سيما في البالغ بدعوى انهُ قد أُخرج الطحال كثيرًا من الحيوانات واحيانًا من الانسان فلم يعقب ذلك ضرر واضح. وبالغ آخرون فقالوا وجودهُ عناء على الجسم فاذا استُئصل منهُ قويت فيهِ بعض العضلات وصار صاحبهُ يركض اكثر من ذي قبل ولا يتعب. . فذهبوا في ذلك مذاهب شتى ولكنَّهم اذ ايقنوا بان العناية الالهية او الطبيعة على ما يزعم فريق لم توجد في الكون شيئًا الّا ولهُ غاية جوهريَّة وحكمة بالغة سواء ادركها العقل او قصرت عن كنهها الافهام عادوا الى الاستقراء والعود احمد فواصلوا الجدّ بالعمل وقد طال بهم الوقوف امام هذا السرّ المكتوم حتى قيَّض الله منذ عهدٍ ليس ببعيد لنخبة من علماء الطبّ كشف النقاب عن بعض وظائف الطحال فكان اذ ذاك حسن المآل داعيًا لتحقيق الآمال

قد ظهر لبعضهم عقب جملة مشاهدات ان حجم الطحال يتزايد كثيرًا في قرب نهاية العمل الهضمي وان أكبر داعٍ لتلك الزيادة هو كثرة البلاسما الالبومينية التي تحتويها مادة العضو الجوهريَّة كما ان البلاسما المذكورة تتناقص كميّتها شيئًا فشيء. بعد ذلك العمل الى ان تكاد لا تُذكر ولا سيما عند اشتداد الجوع. فاستدلوا من تلك النتائج على أنهُ لا بدّ وان يكون لهذه الغدّة شأنٌ عظيم في اصلاح مواد الدم الالبومينيَّة اذ يصير لها بمثابة عامل تكويني يحفظها طيّ اوعيتهِ وخلاياه مدَّةً من الزمان ريثما يرجع يأخذها الدم منهُ تدريجًا حسب احتياج الطبيعة اليهِ

غير انهُ لمَّا كانت المادَّة الدهنيَّة العامة في بلاسما الطحال موجودة فيهِ بمقدار قليل جدًّا اخذ البعض بما كسون القول السابق مع انَّهم يسلّمون بانَّ لهذا العضو شأنًا يستحقّ الذكر في تحضير المواد اللازمة لتأدية العمل التنفسي نظرًا لما بينهما من بُعد الصلات

وقال البعض الاخر ان للطحال من جملة وظائفهِ الرئيسيَّة خاصيَّة فيسيولوجيَّة مؤدَّاها ان تنحل فيهِ الكريَّات الدمويَّة بعد ان تكون قد اتمت عملها المغذّي في الجسم وبدأ انحلال الدثار فيها. والباعث على هذا التقرير انهُ يُشاهد في المادَّة اللبيَّة الطحالية الملوَّنة عدد كثير من تلك الكريَّات عينها موجودة على درجات مختلفة من الانحلال. وكذا يشاهد في نفس الاوردة الطحاليَّة تناقص في الكريَّات الحمراء لما جرى من الانحلال على البعض الآخر وهكذا على التوالي. وقد اجمع المدققون انَّ لهذا العضو دون ما ذكر شأن عظيم في الدورة الباطنية البابيَّة اي ان العلاقة بين هذه وبين الدورة الطحالية شديدة الارتباط

ولقد سبق القول انَّ من خصائص الطحال التمدُّد والانقباض بحيث انهُ يكون صغير الحجم مدة العمل الهضمي في المعدة ثم يكبر شيئًا فشيئًا عند نهايتهِ على شبه اسفنجة تملأ ثمَّ تفرغ. فلذا صحَّ اعتباره كحاصل وعائيّ يتحوَّل اليهِ دم المجموع البابيّ وخصوصًا اوعية المعدة والكبد ثمَّ يخرج من اوردتهِ الى اوردة الدورة العامَّة. غير انهُ يُقال ان التوازن المذكور بين الدورتين البابية والطحالية هو مجرَّد عمل ميكانيكي ليس الَّا من قبيل الامور الثانويَّة في وظائف الطحال الذي يتضمَّن كما بيَّنَّا ابنية اخرى غير الاوعية الدمويَّة

ومما يزيد حجم هذه الغدَّة عدا العمل الهضمي اجهاد القوى كالركض والانفعال والتمرينات العضلية المطولة وبالاجمال كلما من شأنهِ استنهاض الدورة في الاوعية الباطنيَّة بنوع خاص. اما اذا قُطع العصب الطحالي فيرى حينئذٍ ان حجمهُ يتضاعف بدرجة خارقة العادة. وبعكس الامر اذا حدث مطلق تهييج في العصب المذكور او بواسطة احد الاعصاب الحاسة انقبض العضو كثيرًا. كما ان استعمال بعض العقاقير كالكينا والاستريكنين ذات مفعول يُذكَر في تقليل حجمه

وادرك اخرون بعد طول التجربة والاختبار ان الطحال لا شك عامل قوي في

تكوين جراثيم الكريات الدمويَّة بيضاء كانت ام حمراء . واستدلوا على ذلك بعدَّة مشاهدات نقتصر على بعضها لضيق المقام عن استيفائها . فيصبح اذ ذاك بهذه الوظيفة اشبه بالغدد اللمفاوية التي جل مزاياها القيام بكليات هذا العمل . كما وانه من المحتمل ايضاً ان بقية الغدد الوعائيَّة تحوي هذه الخاصية عينها وان يكن بدرجات متباينة تختلف باختلاف انواعها

واعلم انه قد تحقَّق ان الدم الساري بالوريد الطحالي يتضمن مقداراً وافراً من الكريات البيضاء . وبيان ذلك ان نسبة وجود عدد الكريات البيضاء الى عدد الكريات الحمراء في الدم الشرياني هي كنسبة واحد الى مائتين وخمسة وعشرين . ففي الدم الوريدي الطحالي تهبط هذه النسبة فتكون كنسبة الواحد الى ستين ولا تمايل لذلك ألَّا تقدير تكوينها في العضو او ملاشاة الكريَّات الحمراء فيهِ . وهذا الاستثناء الاخير بعيد عن الاحتمال . ثم ان الطحال والجسم الدرقي او بعض الغدد اللمفاوية يتعاظم حجمه في المرض المعروف باللوكوسيتيميا الذي يتضاعف فيه كثيراً عدد تلك الكريات البيضاء

وقد روى الاستاذ كوليكر (Kölliker) انه وجد ضمن اللب الطحالي بعض حُبيبات صفراء تشبه الكريات الدمويَّة في لونها وتركيبها وهي صائرة بعد في دور النمو فاستنتج من وجودها على انها ربما كانت مصدراً لتوليد كريات دموية حمراء

فمن كل ذلك يتَّضح جليًّا أنَّهُ يوجد مشابهة عظيمة بين وظائف الغدد اللمفاويَّة المحضة ووظائف الغدد الوعائية الدمويَّة بمعنى ان هذه الاخيرة بواسطة المواد الغذائية التي تكون قد امتصَّتها الاوعية الدمويَّة من مواردها تقوم بعمليا المؤثر في الاصول الالبومينية اذ تكوّن ضمن خلاياها جراثيم الكريَّات الدمويَّة الحديثة فتدخل في اوردتها وهي تبثُّها في مصادر الدورة العامَّة . كما ان الغدد اللمفاوية تقوم بهذا العمل نفسهِ في المواد الغذائية التي يتناولها المجموع الماصّ العام

وقال الاستاذ هيدون (Hédon) ان الطحال مثل بقية الغدد اللمفاويَّة لهُ خاصية جوهريَّة مأثورة ألا وهي تنقية الدم الذي يمرّ باوعيتهِ من جميع الدقائق اللازبة والاجسام الغريبة التي تتخلَّل الدورة العامَّة احياناً على سبيل العرض فيكون حينئذٍ بمثابة مرشح يحجر تلك الجراثيم حتى يحلّلها الى ان تكون صالحة فيرسلها . وعليهِ فتضخُّم

العضو في بعض الامراض المفنة من اقوى الادلّة على حقيقة وجود هذا العمل الفعّال

والخلاصة ممّا تقدّم ان الطحال ليس كما ظنَّ البعض جزءًا عرضيًا في الجسم الحي وجوده وعدمهُ سيّان بل انّهُ مع بقية الغدد الوعائية الدموية ضروري لحفظ قوام الاجهزة ولا سيّما الدموية ومنها اتمام سيرها على محور النظام الذي سنّتهُ لها الطبيعة ضمانًا للصحة. والّا امسى مفقودهُ عرضةً لسهام الامراض فتزل به وقانا الله السوء آجلًا او عاجلًا

وحسبنا في تقرير ذلك ما عهد بالتجربة اخيرًا وهو انّهُ بعد استئصال هذه الغدة من الحيوان الصحيح باربعة او خمسة شهور على الاكثر لاحت عليه علامات التأخر وبدأت فيه اعراض الضعف وانحطاط القوى مسبّبة عن فقد الدم لنحو ثلاثة ارباع كرياته وما يقرب من تسعة اعشار مادته الجوهرية المعروفة بالهيموكلوبين ثمّ اعقب ذلك ضنًى عامّ في الجسم كلهِ وهكذا يأخذ صاحبهُ في السير الى موارد الحتوف تسمًّا او هزالًا

هذا ما سمح المقام بايرادهِ على سبيل الايجاز فيما يختصّ بتشريح الطحال وبنائهِ ووظائفهِ . وما خفي على بصيرة حضرة القارئ اللبيب ان القسم الاخير من الموضوع هو جلّ ما توخّيناهُ في مقالتنا هذه لاهميتهِ دون سواهُ. غير أنّا نستميح حضرات المنتقدين عذرًا عمّا ندَّ بهِ اليراع في ميدان هذا البيان فيي الاغضاء فضلٌ وفوق كل ذي علم عليم

المقتطف والتوراة

نبذة موجزة للاب لويس شيخو اليسوعي

من امثال العرب المصيبة قولهم: « بعلّة الورشان يأكل الصيّاد رُطَب المشان » يضربونهُ لمن يظهر شيئًا وينوي منهُ شيئًا آخر وهو ممّا ينطبق اتمّ الانطباق على اقوال كثيرة يوردها صاحب المقتطف ظاهرها الاكرام للتوراة ولكلام الله وهي في الحقيقة طعنٌ قادحٌ تقوّض أركان الدين وسبّة تسوم الوحي أخسف خطّة

سُئل المقتطف (في العدد ٢ من آب الماضي) كيف يزعم العلماء انّ جُثّة فرعون وُجدت محنّطة بعد ان اثبت الكتاب الكريم ان فرعون وكل جنودهِ غرقوا في البحر

فالحل هذا المشكل اجوبة مختلفة منها ان يقال ان الاسفار المقدَّسة ربما نسبت الى الملك ما جرى على يد جنوده وانصاره وهو نوع من المجاز المرسل لا يجهلهُ احدٌ من الكتبة ويفهمهُ كلُّ القرَّاء — ويمكن ايضاً ان يقال ان فرعون لم يدخل البحر مع جنوده بل تأخر عنهم وليس في التوراة آية صريحة تذكر غرقهُ — وان أُصرَّ احد على اثبات غرق فرعون فيمكن القول انَّ المياه دفعت جثتهُ الى شاطئ بحر القلزم فوجدها اهل تلك النواحي فحنَّطوها ودفنوها مع جُثث آبائهِ في « بيان الملوك » حيث وُجدت حديثاً

فهذه كلُّها اجوبة تزيل مشكل الكتاب المقدَّس كان المقتطف يستطيع ان يلتجئ اليها لكنَّ الكفر قد ختم منذ امد مديد على قلب كتبة هذه المجلة فلا يدعون فرصةً ألَّا انتهزوها لمناقضة الاسفار الالهيَّة وكلامهِ عزَّ وجلَّ · فليحكم القرَّاء بعد مطالعة ما كتبوهُ · قالوا اثارهم الله (ص ١٨٤) :

« لبعض العلماء سخائف (كذا) تبعد عن الحقيقة بعد خرافات العجائز عنها · ولا ندري كيف يبحثون عن فرعون موسى بحثاً علمياً وهم لم يجدوا حتَّى الآن دليلًا واحداً اثريًّا على انَّ بني اسرائيل كانوا ساكنين في مصر في العصر الذي يُقال انهم كانوا ساكنين فيهِ · وهذا لا ينفي رواية التوراة ولكنَّهُ يمنع رجال العلم من البحث عن فروع قضيَّة بحثاً علمياً قبل اثبات القضية نفسها اثباتاً علمياً · فعلم الآثار المصريَّة لم يثبت حتَّى الآن انَّ بني اسرائيل كانوا ساكنين في مصر في عهد منفتاح او قبلهُ فكيف يستطيع ان يبحث عن خروجهم من مصر في زمنهِ او زمن غيرهِ · لكن كثيرين من العلماء صاروا تجاراً يتَّجرون بعلمهم فيعرضون منهُ البضاعة التي تروج في السوق ويصوّرونها في الصورة يقبلها القرَّاء حقيقية كانت او غير حقيقيَّة . . .

« وجملة القول ان البحث عن فرعون موسى على نوعين كتابي وعلميّ فالكتابيّ يجب ان يقف فيهِ المسيحيُّون عند نصّ الكتاب . . . والعلميّ يجب الوقوف فيهِ عند حدّ الاكتشافات الاثريَّة التي كشفت حتَّى الآن ولا ذكر فيها لخروج بني اسرائيل من مصر ولا لاستعبادهم فيها ولا لتوطنهم اليها . . . فخبر التوراة لا يتوقَّف ثبوتهُ وتأييدهُ على شهادة الآثار المصريَّة بل هو ثابت لذاتهِ عند المؤمنين بهِ صدَّقت لهُ شهادة الآثار او لم تصدّق » انتهى كلام المقتطف

أفرأى القارئ كيف نفث صاحب المقتطف سمَّهُ في العقول وهو يتظاهر بأنَّهُ يكرم التوراة ويحضُّ المؤمنين بالتمسُّك بها · ومن قولهِ السابق لا ينتج سوى هذه النتيجة الوخيمة وهو انَّ الثلثمائة المليون من النصارى والمسلمين واليهود الذين يعتقدون بوجود بني اسرائيل في مصر واستعبادهم فيها وخروجهم منها ليسوا الا عمياناً يصدّقون

امرًا وهميًا لا حقيقة لوجوده لمجرَّد ورود هذا الامر في اسفارهم الدينيَّة « صدَّقت لهُ شهادة الآثار او لم تصدق ». وعليهِ فانَّ العلماء الذين يحاولون البحث عمَّا ورد في التوراة ليقابلوهُ مع الآثار هم طَلَبَةُ « سخائف تبعد عن الحقيقة بعد خرافات العجائز عنها » او بالاحرى انهم « تجار يتجرون بعلمهم فيعرضون منـهُ البضاعة التي تروج في السوق ». امَّا المقتطف وصاحبـاهُ « الدكتوران في الفلسفة » فانَّهم لا يعلّمون الا الحقائق الواضحة والتعاليم النيّرة فحاشاهم ان يقبلوا مثل هذه « السخائف » او يحطُّوا من مرتبة العلم فيتَّجروا بهِ. وانَّما سلعهم اعلى شأنًا وارفع مقامًا كلّها من الذهب الابريز الذي لا يدخل فيهِ خَبَثٌ البتَّة

وان قال المقتطف مع الدهريين « انَّ العقل هو مجموع افعال الدماغ » (المشرق ١٠٠٩:١) فهو جُهينة الاخبار بعيدٌ عن خرافات العجائز. وان قال مع الملحدين انَّ بني اسرائيل اقتاتوا في البريَّة مدَّةً اربعين سنة بعُصار الطرفاء لا بمنّ السماء (المشرق ١٠٧٨:١) فكلامهُ عين الحقّ. وان علَّم مع الماديين « انَّ الضمير جرثومة تنشـأ بعد ولادة الطفل ثمَّ تنمو فيهِ » (المشرق ٩٩٤:٢) فبضاعتـهُ من انفس البضائع لا تُعرض الَّا في سوق العلماء. وان جعل الانسان مع الدرو ينيين « سلالة بعض القرود » (المشرق ٥٧٣:٣) « فانَّ القول ما قالت حذامِ »

فهذه كلّها نقطة من بحر خرافات المقتطف هتكنا سترها في وقتها. فلننظر الآن هل نأتي نحن من خرافـة اذا بحثنا في الآثار المصريَّة عن وجود الاسرائيليين في مصر واستعبادهم فيها وخروجهم منها وهل علم هذه الآثار كما زعم المقتطف لم يثبت شيئًا من ذلك

١ً زعمتَ يا مقتطف انَّ من يسند الى العلم اقوال التوراة في امر الاسرائيليين ووجودهم في مصر واستعبادهم فيها وخروجهم منها يقول بخرافات العجائز. على رسلك ألا ترى انك بهذه القول تجرح نفسك من حيث لا تدري. كأني بك نسيتَ ما كتبتهُ مرارًا في صفحاتك عن وجود بني اسرائيل في مصر راجعهُ ترَ انَّك انت ايضًا كنت تصدّق مثلنا « هذه الخرافات وتتَّجر بعلمك فتعرض منهُ البضاعة التي تروج في السوق » وهاك مصداقًا على قولنا ما كتبت في سنتك العشرين ص ٣١٢ قبل اربع سنين :

« علمنا ان الدكتور بيتري المشهور بالآثار المصريَّة اكتشف بلاطة عليها كتابة هيروغليفيَّة ...

لرعمسيس الثاني . . ومنفتاح بن رعمسيس . . . وقد قرأ الدكتور بيتري هذه الكتابة فوجد فيها انَّ منفتاح استعبد شعوباً متعدّدة ومن جملتها « اسرائيل ». ثم عاد الدكتور نفيل وهو في علم الآثار المصريَّة اشهر من نار على علم وقرأ تلك الكتابة فوجدها كما قرأها الدكتور بيتري . وهذا اوَّل شاهد وجد بين الآثار المصريَّة على انَّ بني اسرائيل استعبدوا لفرعون مصر كما ورد في التوراة . وقد ترجح به ظنُّ العلماء انَّ منفتاح هو الفرعون الذي خرج بنو اسرائيل من مصر في ايامه »

فنعم ما كتبتَ وقتئذ يا مقتطف فكيف سوَّل لك الشيطان اليوم ان تنكر ما اثبتَّهُ سابقاً العلَّك كنتَ اذ ذاك مثلنا « تصدق خرافات العجائز وتتَّجر بالعلم » او بالاحرى قد اعماك اليوم كفرك لتكذّب صدق ايماننا واستنادنا فيه الى العلم الوضعيّ . وما اكتفيت بهذه الشهادة حتى عدتَ في عدد آخر (المقتطف ٢٠ : ص ٤٧٦) وزدتَ ايضاحاً على ما تقدَّم فكتبت فصلاً مطوَّلاً ختمتَهُ بقولك :

« فعجائب من بني اسرائيل كان يسكن في ارض مصر والذين كانوا يسكنون مصر خرجوا منها في عهد هذا الملك منفتاح او منبتاح »

فكيف نسيت كل ذلك ولُذتَ اليوم باهداب الزور والبُهتان

٢ ً ولعلَّك لا ترضى يا مقتطف بشهادة نفسك لعلمك بأنك كثيراً ما تخدع القوم باقاويلك المتناقضة . فهلمَّ نهديك الى آثار اخرى مصريَّة تشهد معنا على نزول بني اسرائيل الى مصر واستعبادهم فيها وخروجهم منها . فمن ذلك ما وجدهُ العلاَّمة شاباس (Chabas) من اكبر الاثريين المصريّين وهو اسم العبرانيين وقف عليه في كتابتين هيروغليفيتين على صورة « ابريو » الموافقة للفظة العبرية עברים بتخفيف العين الاصليّة مع صيغة الجمع في المصريَّة . وهذا التفسير قد صادق عليه العلاَّمة ناڤيل الذي اقورتَ بشهرته وغيرهُ من العلماء . وفي الكتابتين المذكورتين اشارات واضحة الى استعباد العبرانيين واشغالهم الشاقة كما ذكرها الكتاب الكريم (١

هذا وقد اثبتنا في (المشرق ١ : ٨٨٠–٨٩٢) مقالة نفيسة للاب يوسف اوتناج من علماء اللغة المصريَّة المبرّزين بيّن فيها آثاراً اخرى غير السابقة تشهد شهادةً قاطعة بوجود العبرانيين في مصر وتقلُّب احوالهم فيها وخروجهم منها فتصفَّحها يا مقتطف لعلك تجلو بها غياهب كفرك

(١) راجع Chabas : *Mélanges égyptologiques*, 1re série 1, 46 . ومقالتهُ المعنونة « بحث في الدولة التاسعة عشرة » ص ٩٩–١٠٦ – راجع ايضاً كتاب ناڤيل Naville : *Les Israélites en Egypte*

٣ً وهب يا مقتطف ان الآثار المصريّة لم تأتنا بذكر الاسرائيليين أفتظن انهُ لا يمكنا ان نعتبر سفر توراة موسى النبيّ بصفة كتاب علميّ وكتاريخ صادق كبقيّة التواريخ القديمة ؟ او ترعم ان الوحي بهِ يترع عنهُ صفاتهِ العلميّة أفلا تعلم انَّ الوحي لم يمنع كاتب السفر الالهيّ ان يستعين بكتابات العلماء قبلهُ ويأخذ عنهم اخبارهم الصادقة وينقل عنهم اقوالهم الثابتة . فما لك اذن تريد ان تفصل الكتاب الكريم عن العلم كأنهُ والعلم خصمان او ضدّان يتنافيان في كل حين وآن

٤ً وزد على ذلك انَّ العلماء المشاهير لم يتركوا آية من اخبار الاسرائيليين في مصر كما وردت في التوراة ألّا وبيّنوا موافقتها التامّة لاخلاق المصريين وعوائدهم وآثارهم المنقوشة لا تختلف عنها ذرّةً فاجمعوا على ان كاتب هذا السفر عاين بنفسهِ كلَّ ما اخبر بهِ وهو اصدق شاهد عليها . ولذا ترى الكفرة انفسهم مع إنكارهم للمعجزات يعتبرون توراة موسى مثل كتاب جليل واثر تاريخيّ صادق

هل تُصِرّ بعد هذا يا مقتطف على غيّك او تريد ان تُلقي في زاوية الكنائس كتبنا المقدّسة كأنها لا يقوم لها قائم بازاء العلم وقد اثبتنا مرارًا ان الدين الحقّ لا يمكن فصلهُ عن العلم وانَّ لا علم بلا دين كما لا دين بلا علم (راجع مقالتنا عن موافقة الدين والعلم في المشرق ٣:٣٠٣) . فان كنتَ صادقًا في ما كتبت مؤخرًا فزيّف قولنا بل وانقض ما سطّرتهُ بيدك سابقًا . وان كنت كاذبًا فأقرّ بكذبك وصُن ماء وجهك أمام قرّائك الذين طالما شككتهم باقوالك الكفريّة وقد كُتب في انجيلنا الطاهر: الويل لمن يأتي على يدهِ الشكوك فخيرٌ لهُ ان يُعلّق في عنقهِ حجر رحى ويُلقى في البحر

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٤ المطابع في بيروت — مطبعتنا الكاثوليكية (تابع لقائمة مطبوعاتها)

١٠ (الرياضات والتأمّلات) ١ً تأمّلات ماري اوغسطينوس وهي مكتبة الروحيّة في

جزء بن عرنجا الخوري انطون آصاف ١٨٦٧–١٨٦٨ . ص ١٢٨ و ١٧٥) = ٢ كتاب رياضة مار اغناطيوس تعريب الاب بطرس فروماج (١٨٥٨ و ١٨٦٨ . ص ٢٢٨) = ٣ ترجمة اخرى مضبوطة مع تفاسير وشروح للاب جانسون اليسوعي وقف عليها الاب يوحنا بلو (١٨٩٥ . ص ٢١٩) = ٤ تأمُّلات سنويَّة في حياة المسيح على عدد ايَّام السنة للاب امابل بنفون اليسوعي (١٨٧٦ و ١٨٨٥ . ص ٥٢٢) = ٥ تأمُّلات يومية للقديس الفونس ليكوري (١٨٥٧ اخر طبعاته ١٨٨٩ . ص ٢٦٧) = ٦ كتاب شمس الرياضات الروحية للسيد المطران غريغوريوس عطا (١٨٦٠ . ص ١٨٦) = ٧ قوت الحياة الروحية للنفس المسيحية تأمُّلات شهريَّة للاب بوهور اليسوعي يليها استعدادات لمناولة القربان الاقدس (١٨٧٠ و ١٨٧٤ . ص ٢٥٦) = ٨ الحذيذ الثاقب في الاربع العواقب عربهُ الخوري يونس سماده (١٨٦٧ . ص ٤٠٩) = ٩ تأمُّـلات مختصرة في عواقب الانسان للاب بودران اليسوعي عرَّبهُ الخوري بولس ضوه (١٨٧٤ . ص ٢٥٢) = ١٠ كنز الرياضة الروحية للمطران ابروسيوس عبده (١٨٧٤ . ص ٢٩٢) = ١١ كتاب قوت النفس (تأملات شهريَّة في آلام السيّد المسيح (١٨٦٩ . ص ٢٢٦) = ١٢ كنز الرياضة العامليَّة (ص ٨)

١١ (صلوات) طُبع منها عدد وافر باحجام وحروف مختلفة وكُرّر طبعها مرارًا . واول طباعتها سنة ١٨٥٤ = صلوات وتراتيل منتخبة للمدارس بالعربية والفرنسية (١٨٧٢ . طُبع مرارًا بتحسينات مختلفة . وآخر طبعاتهِ قام بها الاب والي اليسوعي سنة ١٨٩٥ . ص ٥٢٠ و ٩٢)

١٢ (عبادات شتَّى) « للقربان الاقدس وقلب يسوع » ١ قوت الارواح لاوبرتوس ليون عرَّبهُ يوسف ورده (١٨٦٣ . ص ٢١٧ ثم ١٨٨٥ . ص ٢٢٨) = ٢ الزيارة اليوميَّة للقربان الاقدس ولايقونة والدة الاله للقديس الفونس ليكوري (١٨٦٤ . ص ٢٢٤ طبعتهُ الخامسة ١٨٩٠ . ص ٢٢) = ٣ كتاب عبادة قلب يسوع للاخ فيلبُّوس رئيس عام اخوة المدارس المسيحيَّة (١٨٦٦ . ص ١٩٢) = ٤ شهر قلب يسوع الاقدس (١٨٧١ . ص ٢٦٠ طبعتهُ السابعة ١٩٠٠ . ص ٢٧٢) = ٥ كتاب الكنزين الانفسين في العبادة لقلبي يسوع ومريم الاقدسين للابوين بركو ومنفريدي اليسوعيين (١٨٨٧ . ص ٢٢٤) = ٦ رتبة زيَّاح قلب يسوع (١٨٨٠ . ص ١٦) = ٧ تكريم لقلب يسوع (ص ٢٠) = ٨ فرض التعويض لقلب يسوع الاقدس (١٨٨٠ . ص ٢٢) = ٩ التعبد لقلب يسوع الاقدس في المشرق للاب ل . شيخو (١٨٨٩ . ص ١٦) = ١٠ شركة الخفر الروحاني لتكريم قلب يسوع (١٨٧٨ . ص ١٦) = ١١ التعبُّد لطفولية يسوع المسيح للاب ل . شيخو (١٨٩٧ . ص ٢٤) = ١٢ رسالة الصلاة = درب الصليب (١٨٥٥ . ثمَّ كُرّر طبعهُ . ص ٢٢)

« البتول العذراء مريم » كنز العبادة الغرَّاء لابن اخويَّة مريم العذراء للمرحوم درويش تيَّان (١٨٧٠ طبعتهُ الثامنة ١٨٩٣ . ص ٢٥٦) = ٢ فرض اخويَّة الحبل بلا دنس (١٨٥٤ طبعتهُ الثامنة ١٨٩٧ . ص ٢٧٦) = ٣ كتاب الشهر المريمي للاب موزاركي (١٨٥٨ طبعتهُ السابعة ١٨٩٤) = ٤ اصل ثوب سيدة الكرمل (١٨٧٣ . ص ٢٦) = ٥ خدمة سيدتنا مريم العذراء تتلى في اخويَّاتها عن انفس الموتى (١٨٦١ طبعتهُ السادسة سنة ١٩٠٠ . ص ٢٤) =

٦ً رتبة شهر أيّار المخصّص لاكرام مريم البتول (١٨٧٧ ص ٣١) = ٧ً تحفة المقارب في سيدة لورد امّ العجائب للسلامة دانيال بادربه تعريب القسّ افرام الدبراني (١٨٩٤. ص ١٤٣) = ٧ً مريم العذراء وثوب قلب يسوع الاقدس (١٨٨٨. ص ٢٣)

« تعبّد لبعض القديسين » . ١ً تكريم القديسين على عدد ايام السنة ١٨٥٧. ص ٦٨٤) في آخره تأمّلات شهريّة لقلب يسوع للاب سان فيتالى (ص٦١) = ٢ً الشهر الملاكي للاب لويس ابوجي اليسوعي (١٨٨٣.ص ٢٦١) = ٣ً شهر مار يوسف ١٨٧٢ وكرّر طبعهُ ثلاثًا ص٣٦٠) = ٤ً تساعيّة لاكرامهِ (ص٨٠) = ٥ً اكرام لماري يوسف البتول (١٨٧٥. ص ٣٠) = ٦ً زهرة آذار لسامي الاقتدار ماري يوسف (١٨٦٦ص ١٣٠) = ٧ً تساعية لاكرام مار اغناطيوس (١٨٦٨. ص ١٠٢) - لاكرام مار فرنسيس كسفاريوس (١٨٨١. ص ٨٤) - لاكرام القديس استانيسلاوس (١٨٩٢. ص ٢٤) - لاكرام القديس انطونيوس البدواني (١٨٩٠. ص ٣١) = ٨ً التحفة الدريّة في مناقب مار لويس غونزاغا السنيّة للاب فرنسيس كالوزي اليسوعي تعريب الخوري يوسف البستاني (١٨٧٠. ص ٢٤٠) = ٩ً تأمّلات شهريّة لاجل اسعاف الانفس المطهريّة عرّبها القس افرام الدبراني (١٨٩٣. ص ٢٦٦) = ١٠ً تسعويّة لاجل اسعاف الانفس المطهريّة تعريبهُ (١٨٩٢. ص ٨٣)

(مناشير وقوانين رهبان وجمعيّات) قد طُبع في هذه المطبعة اكثر براءات الباباوين بيوس التاسع ولاون الثالث عشر مع مناشير للبطاركة والقصّاد الرسوليين والاساقفة بطول تعدادها - ثم طبعت فيها ايضًا قوانين رهبانيّات كقوانين القديس مبارك باللاتينية والعربية (١٨٩٤. ص ٢٠٦) وقوانين رهبانيّتنا (١٨٧٧. ص ٢٣٦) وكذلك قوانين راهبات قلبي يسوع ومريم (١٨٧٥. ص ٧٧ و١٨٨٤. ص ٦٤) وقوانين راهبات القديسة كلارا (١٨٨٥) وكتاب التحفة السنية في ايضاح النذور الرهبانية للاب بطرس كوتيل اليسوعي عرّبها الاب ل. ابوجي (١٨٧٥. ص ١٥٣) وكتاب الدعوة الرهبانية للقديس الفونس ليكوري عرّبهُ الاخ يوسف دريان المشتوتي الراهب الحلبيّ (١٨٨٩. ص ١٦) وقوانين شركة مار منصور دي پول (١٨٦١. ص ١٠٠. ثم جُدّد طبعها موسّعًا سنة ١٨٦٣. ص ٢٩٩ وفي آخره صلوات ص ٥٦) ثم خلاصة اعمالها سنة ١٨٦٧ و ١٨٩٨ و ١٨٩٩. الى غير ذلك ممّا يطول شرحهُ

الكتب العلميّة المطبوعة في مطبعتنا الكاثوليكيّة

(القراءة والكتابة) ١ً كتاب مبادئ القراءة العربيّة (١٨٥٤. ثمّ طُبع نحو ٣٥ طبعة. ص ٣٢) = ٢ً صفحات جداريّة لاصول القراءة والصرف ومبادئ الحساب (عددها ١٤ صفحة كبيرة) للاب ل. شيخو اليسوعي = ٣ً عشبة الاحد. تابعة لمبادئ القراءة (١٨٥٥. طُبعت ٢٥ طبعة. ص ٣٢) = ٤ً ترقية القارئ جزءان عدد كلّ جزء ١٢٠ صفحة جمعُ الاب ل. شيخو (١٨٨٦طبع خمس طبعات) = ٥ً معرض الخطوط جمعهُ الاب ل. شيخو (١٨٨٥. ص ١١٠. ثمّ ١٨٨٧ ص ١٢٢. طُبع سبع طبعات) - ولهذا الكتاب ملحق للمعلّم (ص ٦٣) =

٦ً طريقة مستحدثة الخطّ العربيّ في ١٢ دفتر. وُضعت سنة ١٨٧٨ بهمّة الاب يوسف روز ثمّ حُسّنت تباعاً

٢ (الكتب الصرفية والنحويّة) ١ً جدول الافعال العربية لاحد الآباء اليسوعيين (١٨٧٠. ص ٤٨ طُبع ثلاث طبعات) = ٢ً الآجروميّة (١٨٥٩. طبعتها العاشرة ١٨٩٦. ص ٥٢) = ٣ً مختصر في الصرف للاب ل. شيخو (١٨٨٦. ص ٢٤) = ٤ً ترجمة الطرف في مختصر الصرف له (١٨٨٥. ص ٦٨ طبعتهُ الخامسة ١٩٠٠. ص ٧٠) = ٥ً بحث المطالب للسيد جرمانوس فرحات (١٨٦٥. ثمّ ١٨٨٣. ص ٣٦٢ مع حواشٍ للمعلم سعيد افندي الشرتوني. طبعتهُ السادسة ١٨٩٦) = ٦ً كتاب منارة الطلّاب في التصريف والاعراب للمعلم منصور الحمش ١٨٧١. ص ١٥٢) = ٧ً القواعد الجليّة في علم العربيّة للاب جبرائيل اده اليسوعي جزءان (ص ١٦٨ و ١٥٥. طُبع اولًا سنة ١٨٧٨. طبعتهُ الثامنة سنة ١٨٩٦) = ٨ً تمرين الطلّاب في التصريف والاعراب المعلم رشيد افندي الشرتوني (١٨٨٦ و ١٨٨٨ اربعة اجزاء في ٤٧٠ صفحة للتلميذ و ٩٣٥ للمعلّم. طُبع ثلاث طبعات) = ٨ً مبادئ العربية لهُ (تحت الطبع) = ٩ً كتاب مطالع السعد لمطالع الجوهر الفرد في اصول الصرف والنحو للشيخ ابرهيم اليازجي (١٨٧٥. ص ٧٨)

٣ (كتب صرفيّة ونحويّة وتمرينات للاوربيين) ١ً اصول اللغة العربيّة (بالفرنسية) للاب ل. ابوجي اليسوعي (١٨٦٣. ص ٢٩٧) = ٢ً مبادئ اللغة العربية للاب ج. بلسين اليسوعي (١٨٨٦. جزءان ص١٣٢ و ٩٢) = ٣ً تصريف الافعال العربيّة لاحداث الاوربيين في مدرسة الآباء اليسوعيين في الاسكندريّة (١٨٩٩. ص ٧٠) = ٤ً غراماطيق فرنسويّ ملخّص في صرف ونحو اللغة العربيّة للاب يوحنا بلو اليسوعي (١٨٩٦. ص ٢٦٩) = ٥ً اصلاح التمارين على الكتاب السابق مع جداول الافعال لهُ (١٨٩٨. ص ١٢٤) = ٦ً غراماطيق فرنسويّ مطوّل للّغة العربيّة للاب د. ڤرنيه (١٨٩١–١٨٩٢. جزءان ص ٥٨٧ و ٦٥٩) = ٧ً غراماطيق لاتينيّ عربي مع منتخبات ومعجم لمدارس اوربا الكليّة للابوين ا. دوران و ل. شيخو اليسوعيين (١٨٩٦–١٨٩٧. ص ٤٨٠) = ٨ً تمرين للاوربيّين لتعليم القراءة العربية للمعلم يوسف افندي حرفوش (١٨٩٣. ص ٦٥ ثمّ طبع مرارًا) = ٩ً الترجمان العربي (بحرف افرنجي) لهُ (١٨٩٤. ص ٢٥٤) = ١٠ً جامع اللطائف وكنز الظرائف (لدرس عربيّة بلاد الجزائر) للمعلم دلفين (١٨٩١. ص ٢٦٧) = ١١ً اللغة المصريّة الدارجة (بالالمانية) للدكتور كرل فولرس (١٨٩٠. ص ٢٢٢) = ١٢ً العربيّة الحديثة الجارية في الجرائد والاوراق الرسميّة (بالفرنسية والعربيّة للاديب وشنتون سيروس (١٨٩٧. ص ٢٤٠) = ١٣ً تمارين الترجمة من الفرنسيّة الى العربية للاب ه. لامنس (١٨٩٠. جزءان للتلميذ ١٢١ و١٥٤ وجزءان للمعلم ١٢٨ و ١٢٧)

٤ (القواميس) ١ً أقرب الموارد للمعلم سعيد افندي الخوري الشرتوني (١٨٩٠–١٨٩٣ ثلاثة اجزاء ١٥٠٤ و ٥٤٨) = ٢ً قاموس عربيّ فرنسويّ الاب فيلبّوس ككوش اليسوعي (١٨٦٢. ص ٤٥٨) = ٣ً ترجمان فرنسويّ عربيّ (المفردات الدرّية في اللغتين

الفرنسوية والعربية) للاب يوسف هوري اليسوعي (١٨٦٧. ثم ١٨٨١. ص ٧٦٨. ثم بمجم صغير ١٨٨٨ و ١٨٩٣. ص ٥١٣) = ٤ الفرائد الدرّية في اللغتين العربية والفرنسيّة للاب يوحنّا بلو اليسوعي (١٨٨٣. ص ١٠١٩. ثم ١٨٨٨. ص ١٠١٥. ثمّ ١٨٩٣. ص ٩٩٠. ثمّ ١٨٩٦ و ١٨٩٨ و ١٩٠٠. ص ١٠٠٠) = ٥ قاموس فرنساوي عربي كبير لهُ (١٨٩٠ و ١٩٠٠. جزءان. ص ١٦٠٧) = ٦ مختصر القاموس السابق لهُ (١٨٩٢. ص ٧٨٨) = ٧ الفرائد الدرّية في اللغتين الانكليزيّة والعربية للاب يوسف حوّاء (١٨٩٩. ص ٩١٠)

(ستأتي البقيّة)

ليلة الاهوال

معرّبة عن الافرنسية بقلم شاكر افندي ابي ناصر (تابع لما سبق)

وما قطع هذا الفتى قسماً كبيرًا من تلك المنازة الشجواء حتى كبر عليهِ الوهم ولم يرَ في تلك الطريق سوى بعض سائقي العربات والباعة وقد جنَّ عليهِ الليل وسحب الريح اذيال الغمام على الحضيض امامهُ واشتدَّ السواد وتلبَّد الدجى حتى كاد لا ينظر الطريق وكان لهُ من الجوع داعٍ للسرعة ليس اقل شدَّةً من داعي الراحة بعد التعب. وتذكر آنئذٍ بيت ابيهِ حيث كان جالساً مساء ذلك اليوم امام نار مشبوبة تغلي فوقها قدر فيها بعض البقول

غير انَّهُ لم يجعل لصروف الزمن سبيلًا الى ترويعهِ بل شدَّ عزيمتهُ وتوغَّل بالسير في تلك الظلمات الكثيفة. وبينما هو في هذه الحالة واذا بنور يرمي شعاعهُ بين الضباب عن بعد في تلك الصحراء فانعش منظرهُ قلب الفتى الدهش فانهُ ظنَّ بذلك انهُ وصل الى حدّ انتهى عندهُ العذاب ولاح لهُ بعد ذلك ان الامر لم يكن الّا كبرق خلَّب او سراب لان ذلك النور سُدِل دونهُ الحجاب وأرخى وراءهُ الغيهب جلبابًا فوق جلباب. غير انهُ لم يكن كلمح البصر حتى ظهر تكرارًا فتيقَّن الفتى انهُ قرب من منزلٍ يستريح فيهِ وقد رأى على غرَّةٍ خراباتٍ في تلك الارض المتقطعة فلم يشكَّ انَّهُ فندق البنالين الذي كان يظنّ انهُ تجاوزهُ منذ مدَّةٍ طويلة

وقد حكم ان المسافة التي عليهِ ان يقطعها بعدُ بعيدةٌ فتنازع قلبهُ من جهة الرخاء والراحة ومن جهة سوء ظنهِ بالفندق لما سبق وعلم عنهُ من المساوئ فاخذ يضرب اخماساً

باسداس ويقدم رجلاً ويؤخر اخرى ثم قال في نفسهِ : ليس عليَّ سوى ليلة اقضيها في هذا الفندق فمهما كانت تكن لا بأس منها ولعلي لم أصب بتصديق ما قال لي ذلك الكهل الفقير . ومن يعلم ما يكون السبب الذي من اجلهِ نهاني عن المبيت في هـذا الفندق فقد يكون ذلك ناجماً عن اكراه مجرَّد غير مسنودٍ او يكون سببهُ انهُ طلب من صاحبهِ حسنةً فضنَّ ذلك بها عليـهِ . هذا واني لم يسبق لي معرفة بهِ حتى اقف عند كلامهِ وآخذ بقولهِ

وبينا هو يفتكر في امرهِ على الصورة الموصوفة اذا بكلبٍ رمى بنفسهِ من جدار الحظيرة الى الطريق واخذ ينبح جهدهُ ثم فُتح باب الفندق وظهر منهُ شبحٌ فاذا هو رجل عريض المناكب سمينها وانتهر الكلب لساعتهِ والتفت بعد ذلك الى الفتى وقال لهُ بصوت رخيم : لا تخشَ ايها الفتى فان «دارا» تنبح نباحاً قويًّا لكنَّها لا تعضّ احدا فلو كان «ميلور» لكنت قدَّرت انيابهُ حقَّ قدرها فانهُ من الكلاب الضارية لا اتجرأ انا على التقرُّب منهُ وهو الان مربوط الرأس بسلسلةٍ من حديد في الفناء أبقيهِ هناك لوقوع حوادث مهمَّة . واننا نقبل عندنا المشاة والخيالة فان شئت ان تنزل في منزلنا فاهلاً بك وسهلاً فانَّ ضيفنا ليس اقلّ حظّاً من ضيف غيرنا

ولمَّا رأى صاحب الفندق الفتى متردّدًا بين الدخول والذهاب قال لهُ : ايهـا الفتى بِتْ عندنا هذه الليلة فان السير فيها غير موافق لان المطر قريب الوقوع

امَّا الفتى فاستمالهُ كلام صاحب النزل هذا وعزم على قضاء ليلهِ في ذلك الفندق

ولما دخل الى اوَّل حجرة منهُ رآها ردهةً ومطبخاً معاً وفيهـا مصباحٌ من اقبح المصابيح شكلاً ونوراً ورأى جميع ما هنالك من الادوات وسخاً وهو لم يتعوَّد منـذ الصغر الَّا على النظافة والترتيب فكيف بهِ وقد رأى الخوان مدهوناً بالزيوت مطلّى بالغبار لهُ منظر تشمئز منهُ النفوس وكان ثمَّت هواء وخمٌ مفسود وقد خمدت النار تحت الرماد وانطفأت الامر الذي دلَّ على ان صاحب المحل قلما يشعل النار فيهِ . فتذكر الفتى حينئذٍ ذلك الفقير ونصيحتهُ وندم ولات حين ندم . غير انهُ غضَّ من طرفـهِ ووضع صرَّتهُ على احدى الخزانات هناك وانطرح على احد الفُرُش وقد اعياهُ تعب الطريق

فقربت منهُ حينئذٍ امرأة صاحب الفندق وهي مثل زوجها غلاظةً وفظاظةً وعليها لباس قذر منطبق على جسمها كل الانطباق وهو من الوسخ على شاكلـة غيرهِ من

الأثاث في المنزل وكان يبدو في حركاتها تراخ وبطوء دلَّ على أنها لم تتعوَّد خدمة الضيوف بعد وأنَّما تظاهرت باكرام الضيف وشرعت تسأل الفتى سؤالات شتى فقالت: هل انت آتٍ من مكانٍ بعيدٍ ؟ وهل تريد ان تتناول طعاماً ؟ واني لا شكَّ اعدُّ لك فراشاً وثيراً. مُر ما بدا لك. امَّا الفتى فاجابها بكل لطف على سؤالها واندفع يقص عليها ما فعلهُ بذلك النهار وقد تروَّحت نفسهُ بذلك واطلعها على الاسباب التي حملتهُ ان يسافر ماشياً غير انهُ لم يذهل ان يخفي عليها ما عندهُ من الدراهم. امَّا تلك المرأة فقد انخدعت بما رأت في حركات الفتى وحديثهِ من الأدب والظرف وظنَّت انهُ من الثروة على جانب عظيم. ولما كانت تعوَّدت ان تبذل من الاعتناء في الخدمة بقدر ما كانت تتأمَّل كسبهُ من المال نشطت للحال نشاطاً وفرشت من الهنئة بساطاً واخذت تعتني بطبخ الطعام

ولم يمرَّ عليها برهة من الزمن حتى وضعت حزمة من الحطب فاشتعلت وبدا منها ألسنة من اللهب فتقرَّب الفتى من النار يصطلي عليها وقد تروَّح شيئاً فشيئاً ولم يزل كذلك حتى نسي ما مرَّ بذهنهِ من الهموم عند دخولهِ ذلك المحلّ المشئوم

وبينما هو يتأنس باهل ذلك المنزل ويتجاذب اطراف الاحاديث معهم والحديث ذو شجون فاذا بضيفٍ جديد اقبل على المنزل وفي يدهِ كيسٌ من جلد ودخل فظهر انَّهُ رجل كهل عليهِ هيبة ووقار ولهُ شعر ابيض زادهُ كمالاً وجلالاً. ثمَّ وضع كيسهُ على كرسيّ هناك وتقدَّم فجلس قرب النار وحينئذٍ طفق صاحب المنزل وامرأتهُ يكثران من عبارات الترحاب والتكريم وهو غير مبالٍ بهما. ثمَّ قام بعد ان اصطلى على النار واخرج من جيبهِ بعض اوراق ظهر انَّها مهمَّة جدًّا وبدأ يفحصها بتمعن ودقَّة

وفي اثناء ذلك كان الفتى يقلِّب الطرف في هذا الرفيق الذي اتاحهُ لهُ القدر وقد علم من غير ان يحتاج الى علم الفراسة ان ذلك الرجل من علماء الحقوق والفقهاء

وكان ذلك الرجل في واقع الحال كاتب السجلات في ذلك القضاء راسخ القدم في الشريعة معروف عند الخاصَّة والعامَّة انهُ من اهل الاقدام والفضل ملتزم جانب الحقّ والعدل. وقد انفذه قاضي تلك الناحية الى منزل رجل في بعض القرى احب ان يسجل وصيَّتهُ فعاد من تلك القرية حاملاً صرَّةً من الدراهم والدنانير استلمها حتى يحفظها في جملة الامانات عنده وقد اعاقه في سيرهِ ما تجشَّمهُ من وعر الطريق ولم يحتمل السُرى خوفاً

من لص عرا اذا ما عسعس الليل فيسلب المال منه . فعرّج على فندق البغالين وعمد على المبيت فيه

وقصارى الكلام ان تلك الظروف السيئة التي دفعت هذين الضيفين ان يمسيا في ذلك الفندق اعدَّها صاحب الخان من اسباب الكسب بحسبما قال الشاعر: « مصائب قومٍ عند قومٍ فوائد » لانه كان من النادرات ان يأوي احد من ابناء السبيل الى ذلك النزل المنفرد الذي ما كان يطرق بابهُ الّا بعض اهل السابلة يحطّون فيه عصا الترحال ريثما يأكلون ويشربون وتأخذ مطاياهم قليلاً من الراحة ثمَّ يترحلون ويتوجهون الى حيث يقصدون

وفي تلك الاثناء تبادل صاحب الفندق وامرأته بعض الاستشارات والرموز بصورةٍ خفية امكن للفتى ان يدركها لو كان منتبهاً لكنهُ كان مستغرق الفكر في اعداد لوازم راحتهِ منهمكاً بحاله انهماكاً لم يقوَ معه على الاصغاء الى ما انعقد من المناوأة في تلك المؤامرة التي جرت بين المرأة وبعلها وهو في غفلةٍ عنهما

وبادرت بعد ذلك تلك المرأة فوضعت على طبقٍ واسع زوجين من الصحون مسحتها كيفما اتفق لها ثم جاءت بارغفةٍ من الخبز وقليل من النبيذ وقطعة من لحم الخنزير وبعضاً من الاسماك

والكلب الذي استقبل الفتى بالنباح كان يدور حول تلك المائدة ويطوف شامخاً بانفه وقد اخذتهُ هزةٌ من الطرب وشرهت نفسه وانعقد املهُ انه يفوز بحصةٍ من تلك المآكل وقد مرَّت مدة ولم يلتهم شيئاً يسكن بهِ ما اصابهُ من الجوع فانه طاف حول تلك المائدة اولاً وثانياً وثالثاً ريثما مكنتهُ الفرصة فنهض على رجليه وتطاول فالتهم رغيفاً وهرب بهِ الى زاوية خالية

اما صاحبة الفندق فقد لاحظت ذلك وقامت مسرعة وتناولت سفوداً حامياً وقد تأثرت الكلب الذي ارتكب جرماً مشهوداً وهي ترعق بهِ زعقاً وكادت تتميز من الغيظ ثم قالت: ايها الكلب اللئيم تبّاً لك فانك طالما حاولت ان تذوق طعم الخبز وانا سأذيقك طعم الحديد الحامي فلا تعود بعد ذلك الى هذه الفعلة الشنعاء

قالت: وطفقت تضرب الكلب بالسفود حتى أشبعتهُ ضرباً وهذا لم يلتوِ بل على

اخذتهُ وقد حملق بالمرأة وهو يزأر زئيرًا اخافها منه فولّت الى الوراء وصاحت الى بعلها تطلب المدد

وكان ذلك امرًا من شأنه ان يضحك الثكلى فضحك من اجله كاتب السجلات اما الفتى فاخذ بناصر الكلب وانتصب يحامي عنه فقال: يا خالة ان هذا الكلب لم يعد لهُ طاقة على تحمّل الجوع وانتِ اجتريتِ منه جزاء كبيرًا على ذنب صغير فجاء خارجًا عن القياس لا يقبل به احد من الناس

فقالت: ان ما قلته لعجب ايها الفتى. اترى من الصواب ان يرمى الخبز الابيض الى الكلاب ؟ فالظاهر يا صاح انك اصبت ثروة بلا عناء وتعب

فقال: انني لا اعرف جنس الخبز الذي تطعمينه الكلب هذا ولكن الامر يدل على انك تعذبينه بضرب العصيّ ولا اخال ان ذلك من ذوقهِ فبالله عليكِ دعيه ياكل هذا الرغيف وانا ادفع لكِ ثمنه مهما بلغ

فقالت: قبلتُ ولم تتمالك من كظم غيظها عليه

ودخل بعد ذلك بعلها فقصت عليه ما جرى بينها والكلب والفتى فقام ورفس الكلب رفسة شديدة جعلتهُ يترك بعدها الرغيف ويتوارى فتناولهُ حينئذٍ واعادهُ فوضعهُ على الطبق. ثم نظر الى الفتى شزرًا وقال: لك الخيار ان تفعل ما بدا لك. فمدَّ الفتى يدهُ واخذ الرغيف وشرع يصفر للكلب فتقرب منه وهو على حذر كانهُ خائف ان يكون في ذلك شرك يقع فيه فتجنبه وقام بعيدًا امامه. فطفق الفتى يكسر من ذلك الرغيف ويرمي امام الكلب والكلب يأكل حتى نفذت فقال الفتى: ان الجوع عضّ الكلب بنابه فانهكه

فقال كاتب السجلات وقد آنس من الفتى رقة ولطفًا: اصبتَ ايها الفتى فان الكلب اوشكت قواهُ تخور جوعًا. ويعجبني ان تأخذ الشبان شفقة على الذي الم به المصائب واني اراك رقيق القلب كريم الطبع واني واثق انك لا تردّ دعوتي لك الى تناول الطعام معي الآن

قال فاحنى الفتى رأسهُ دلالة على قبوله تلك الدعوة مع الشكر فجلسا معًا حول مائدة الطعام وكان صاحب السجلات يلاطف الفتى ملاطفة تشفُّ عن شدّة تعلقه بهِ واخذ يسأله عما جرى لهُ من الحوادث فارتاح اليهِ الفتى وقصّ عليهِ جميع ما جرى

لهُ من اوله الى آخره وكان ذلك الكاتب صاغيًا اشد الاصغاء. لما كان ينقله لهُ الفتى من الاحاديث وهكذا فرغا من الاكل وتقدما الى النار فجلسا حولها وحينئذٍ اخرج كاتب السجلات لفافةً من التبغ فأشعلها وقدم للفتى لفافة اخرى فاخذها هذا وشكر بلطفٍ وادب

ثم قال لهُ الكاتب: ان هذا الكهل الفقير الذي التقيتَ بهِ في الطريق لنادرة زمان أليس هذا حكمك فيه؟ فقال الفتى: ان القليل الذي علمتهُ منه جعلني ان اتعجب منه كثيرًا فانه يقبل صدقة المحسن ولا يرى انهُ فقيرًا

فقال الكاتب: هذا واقع حاله ولا عجب فان الحسنة تأتيه عفوًا بلا طلب وان في ذلك سرًّا لا تدركهُ الّا اذا وقفت على قصته وعلمت ما نابه من النوب ولا بد ان يكون حكى لك عنها او اطلعك على شيءٍ منها

فقال: لم ادع لهُ فرصةً للمقال لاني حينئذٍ كنت مشغول البال

قال: اني اتأسف على ذلك فلو جعلت لهُ مجالًا للتكلم لكنت عجبت مما هنالك فان حياته كتابة من نسيج كلهُ تحف غرائب يبسطه للطالب وهو باسم الثغر منشرح الصدر فانه نديم هذه الناحية وقد اخذ بمجامع قلوب اهلها

ثم توسع الكاتب بالكلام عنه حتى يزيد الفتى بهِ علمًا وبعد ذلك قال لهُ: قد آن وقت الراحة ومن نيتي ان ابارح هذا الفندق غدًا عند طلوع الفجر غير انّا نقدر قبل الخروج منه ان نتناول الطعام معًا فوافقهُ الفتى على دعوته هذه فتوافقا واستودع كل منهما صاحبه واوى كلٌّ منهما الى حجرتهِ (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

BIBLIOGRAPHIE DES OUVRAGES ARABES OU RELATIFS AUX ARABES
publiés en Europe ds 1810 à 1885
par V. Chauvin 4e fasc. Liège, pp 218.

قائمة الكتب العربية او المتوطة بالعرب التي نُشرت بالطبع في اوربَّة من سنة ١٨١٠ الى ١٨٨٥ (الجزء الرابع)

قد مرَّ في المشرق (١ : ٩٣ و ٧١٧) تعريف الاقسام الاولى من هذا التأليف

الجليل الذي يقوم وحدهُ بمقام مكتبة جماء. والجزء الرابع الذي نحن الآن في صدده عبارة عن ٢١٨ صفحة جمع فيها المؤلف كلَّ ما وقف عليه من اسماء المطبوعات المنوطة بكتاب ألف ليلة وليلة. وهو مع سعته لا يحتوي الّا على قسم من هذه المطبوعات. وفي الجزء التالي تتمَّة هذه القائمة. فهذا دليل واضح على شهرة هذه الحكايات وانتشارها في الاصقاع الاوربية اكثر منها في الشرق

وقد صدَّر المؤلف هذا القسم من كتابهِ (ص ١—١١) بذكر ما قالهُ الادباء في اصل الف ليلة وليلة والقصص المتضمّنة فيها. وتلك مسئلة دقيقة لم يُكشف بعد عنها القناع. وممَّا يفيدنا المؤلف (ص ٩) انَّ في بعض اقطار المشرق لا سيما في مصر اقوالًا غريبة شائعة بين الجمهور بخصوص الف ليلة وليلة كزعم العامَّة مثلًا انَّ من قرأها يُصاب بموتٍ او تدهمهُ في سنتهِ داهية. وهي خرافات لم نسمع بمثلها في بلادنا

ورأي المؤلف (ص ١٠) في كتاب الف ليلة وليلة انَّهُ من التآليف التي لا يختلف اثنان في اعتبارها ورفع شأنها. (قلنا) ان صحَّ قول الموسيو شوفين عن الاوربيين اجمالًا فذاك امرٌ لا يوافقهُ عليهِ كثيرون من العلماء الشرقيين بل بعض الاوربيين ايضًا كالعلّامة دي ساسي. والشرقيّون لا يطلبون من قراءة هذه الحكايات الّا بسط النفس ومن يتصفَّح هذا الكتاب بعين الانتقاد يجد انشاء كثيرٍ من قصصهِ في الغالب ركيكًا. امَّا الراوي فربَّما وجدتهُ خاليًا من الحذق والدراية تصرُّفهُ اشبه بتصرُّف الاحداث

وعقيب هذه المقدّمات اورد المؤلف اسماء الطبعات المختلفة التي شاعت من كتاب الف ليلة وليلة سواءٌ كانت في الاصل العربي او في ترجماتهِ الشرقيَّة كالتركية والفارسيَّة والهنديَّة الخ (ص ١٢ — ٢٤ ثم في الاوربيَّة (٢٤ — ١٢٠) وكنّا وددنا لو الحق المؤلف ذكر الترجمة الفرنسيَّة الجديدة للدكتور مردروس بتعريف مقام صاحبها الذي اشادت بعض الجرائد في عملهِ ولا فضل لهُ فيهِ الّا ما اودعهُ هذه الترجمة من الاوصاف والعبارات المنافية للآداب اخرجها في صورة يمجُّها الذوق السليم وهو يدَّعي انَّهُ تابعٌ للاصل العربيّ بامانة

ثمَّ بحث المؤلف من الصفحة ١٢١ الى ١٨٢ عن مجاميع القصص التي عارض فيها اصحابها حكايات الف ليلة وليلة وختم كتابهُ (١٨٢ — ٢١٦) بتعريف نُسخ هذا الكتاب المخطوطة مع بيان عددها واختلاف رواياتها. بيد انَّ هذا البحث ليس بمستوفٍ

كما اقرّ به الكاتب (ص ٢١٥) لكثرة نُسخ هذا الكتاب وتصرف النُسّاخ بالاصل

هذه خلاصة ما يشملهُ هذا التأليف وقد ضربنا صفحاً عن فوائد أُخرى كثيرة لا يمكن تفصيلها في هذه العجالة نحرّض الادباء على مطالعتها في اصلها فان فعلوا عرفوا مقام كاتبها وسعة معارفهِ ه . ل

أسئلة وأجوبة

س كتب الينا من البلدة جناب الياس لطف الله فيماني « انَّ اليوم الثلاثاء في ٢١ آب الساعة التاسعة افرنجيَّة صباحاً » شاهد الناس هلالاً اصغر من الهلال الاعتيادي ولهُ من العمر يومان او ثلاثة الى جهة الشرق وطرفاهُ الى الغرب وعلى مسافة متر منهُ (للنظر المجرَّد) نحو الجنوب الشرقيّ نجمة صغيرة شديدة اللمعان » فسأل الافادة عن ذلك

مظهر جوّي

ج قد وهم الكاتب بظنهِ انَّهُ رأى هلالاً غير الهلال الاعتيادي والصواب انَّ الذي رآهُ هو القمر في طورهِ الاخير. امَّا النجمة فهي سيَّارة الزهرة (كوكب الصبح) التي تُرى في هذه الأيَّام بالعين المجرَّدة حتى في ضحى النهار لشدَّة نورها

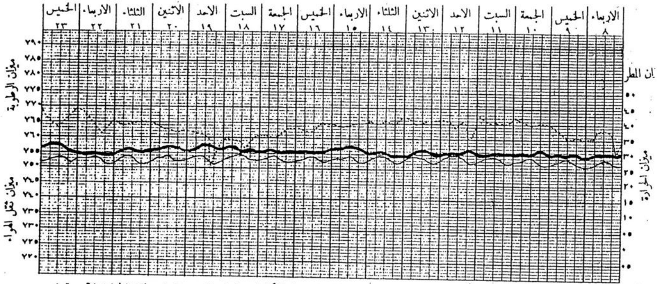
س وسأل حضرة الاب الفاضل افرام الديراني بعض الافادات عن ترجمة مار عبدا الذي يُكرَّم في بلادنا

ترجمة مار عبدا

ج لهذا القديس ترجمة مطوَّلة في السنكسار الماروني في ١٦ أيار. بيد انَّهُ قد وقع في ترجمتهِ اغلاط كثيرة منها قول الكاتب « انَّ القديس عبدا تنصَّر على يد يهوذا الرسول الذي سامهُ اسقفاً على مدينة بابل . . . وانَّهُ بشر بالايمان في خراسان وبلغ الى مدينة نوا على حدود الهند » الى غير ذلك ممَّا لا سند لهُ في التاريخ

والصواب ان القديس عبدا كان من بلاد فارس (ولا تُعرف سنة ومكان مولدهِ) واشتهر باعمالهِ الجليلة في اواخر القرن الرابع واوائل القرن الخامس للمسيح. وكان اسقفاً على مدينة شوشن (Suze) عاصمة بلاد خوزستان ليس بعيداً من مدينة شوستر الحاليَّة. وكان الملك ازدشير يعزّهُ مع القديس مروثا اسقف تكريت (مدينة على دجلة بين الموصل وبغداد) الَّا انَّ غيرتهُ حملتهُ على ان يهدم بيتاً للنار كان المجوس يعظمونهُ فامرهُ الملك بان يعيد بناءهُ فابى القديس عبدا ولذلك حكم عليهِ ازدشير بالموت فجُلد بالسياط ثم قطع راسهُ سنة ٤١٥ للمسيح. وانتشر مذ ذاك اضطهاد عظيم على نصارى العجم دام نحو ثلاثين سنة في أيَّام ازدشير الاوَّل وابنهِ بهرام وفي عهد ازدشير الثاني. وتفاصيل اخبار القديس عبدا وردت في تاريخ تاودوريطس (ك ٥ ف ٣٩) والمؤرخ سوزومين (ك ٢ ف ١٠) وغيرها. والكنيسة اليونانية تكرّمهُ في ٣١ ايار ل . ش

قائمة للآثار الجوّيّة من ٨ الى ٢٣ آب ١٩٠٠



انّ الخطّ الضخم (——) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات